لغز الهارب الصغير



محمود سالم

لغز الهارب الصغير

تأليف
محمود سالم



لغز الهارب الصغير

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٩٩ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

الرسالة الحزينة

أمسك «تختخ» بالرسالة يتأملها للمرة الثالثة ورُبما الرابعة، لم يكن يُصدِّق أنه في يوم من الأيام سيتسلَّم رسالة مثلها، ولكن ما لم يكن يُصدقه ... أصبح حقيقة مؤكدة ... مظروف أنيق ... ورقة زرقاء مكتوبة بخطٍّ واضح ... والكتابة بالحبر الأسود، الإمضاء واضح وتحته عنوان المُرسل، ورقم تليفونه.

إذن ... المسألة حقيقية وليسَت وَهمًا ... وقرَّر أن يقرأ الرسالة مرةً أخيرة قبل أن يتصل ببقية المغامرين ويحكي لهم القصة ... قصة الرسالة الحزينة.

وانتهى «تختخ» من قراءته الأخيرة ... وأحسَّ بالمشاعر التي أحسَّها عندما قرأ الرسالة لأول مرة؛ إحساس مُؤلم بالحزن، ولولا أنه تَمالَكَ نفسه لأفلتت الدموع من عينيه.

وأمسك «تختخ» بسماعة التليفون واتصل بـ «محب» و«نوسة» وطلب منهما الاتصال بـ «عاطف» و«لوزة» ليستعدا ... فسوف يَعقِد المغامرون الخمسة اجتماعًا في الكُشك الصيفي الصغير المُلحق بحديقة منزل «عاطف».

وقالت «نوسة»: هل هناك شيء؟ هل هو اجتماع عمل؟

ردَّ «تختخ» بصوتٍ حزينٍ: لا أدري بَعد ... رُبما!

نوسة: إنَّ صوتك حزين يا «تختخ» هل حدث شيء؟

تختخ: لا ... لا شيء. على كل حال ستعرفين عندما نلتقي.

ووضع «تختخ» السماعة ثم دخل الحمام فاغتسل، وارتدى ملابسه ... وتهيَّأ للخروج عندما قابلته والدته وسألته: كيف الأخبار؟

قال «تختخ» أيُّ أخبار؟

الأم: قالت لي الشغالة إن رسالة وصلتك ... هل هي من أحد أبناء عمك؟

تختخ: لا!

الأم: لماذا تبدو حزينًا؟

ارتبك «تختخ» ودهش أن تكون الرسالة قد تركت آثارها على وجهه إلى هذا الحد.

فقال: لا شيء خاص بنا يا أمي، مسألة خاصَّة بالمغامرين الخمسة.

الأم: هل حدَث شيء لأصدقائك؟

تختخ: لا، إنها فقط مهمة صغيرة قد نقوم بها.

انصرفت الأم قائلة: مهمَّة أخرى؟ ألم يَكفِكُم ما قمتم به حتى الآن من مهام!

أسرع «تختخ» يقفز إلى دراجته، وأسرع «زنجر» يتبعه ... وانطلَقا في شوارع المعادي الهادئة.

كان الجو صيفيًّا مُنعشًا، ورائحة الورود والأزهار في الحدائق تملأ الجو، ولولا الرسالة التي كان يحملها في جيبه ... لشَعر «تختخ» بسعادة حقيقية ... ولكن ... هذه الرسالة! هكذا كان يقول لنفسِه ... شيء مُحزِن للغاية ... هل يُمكن للمغامرين الخمسة أن يفعلوا شيئًا؟

وهكذا ظلَّ يُحدِّث نفسه حتى وصل إلى حديقة منزل «عاطف» وترك الدراجة ودخل ... وكان الأصدقاء الأربعة هناك ... وكانوا يَضحكُون ... فقد كان «عاطف» يَروي لهم كالمعتاد آخر نكتة سمعها أو ابتكَرها.

وجلس «تختخ» صامتًا، وشيئًا فشيئًا ساد الصمت الجميع ... ثم أخرج «تختخ» الرسالة الزرقاء من جيبه وقال: وصلتْني هذه الرسالة اليوم ... وهي ليست موجَّهة لي وحدي، إنها موجهة إلى المغامرين الخمسة، وسوف أقرؤها عليكم.

نظر المغامرون الأربعة بعضهم إلى بعض، وكاد «محب» يتكلَّم لولا أن «تختخ» رفع الرسالة أمام عينيه وبدأ يقرأ:

«الأعزاء ... المغامرون الخمسة ...

سمعتُ عنكم أمس فقط من صديقة عزيزة؛ هي «سعاد» ابنة الدكتور «مختار»، وأدهشني وأسعدني أنكم نجحتُم مرارًا في حلِّ عدد كبير من الألغاز الغامضة ... وأنكم تسعون لإقرار العدالة ونُصرة الأبرياء والمظلومين ومساعدة المُحتاجين.

وأنا في حاجة إلى مُساعدتكم.

ولستُ وحدي ... ولكن أبي ووالدتي أيضًا.

وإننا ... نحن الثلاثة نُناشدكم أن تقفوا بجوارنا في محنتنا، وأن تبذلوا جهدكم كما بذلتموه من قبل لإنقاذنا.»

ونظر «تختخ» إلى الأصدقاء فوجدهم يُصغون جميعًا في انتباه شديد فمضى يقرأ:

«إننا نرجوكم أن تنقذونا من الحزن والتعاسة ... فقد اختفى من حياتنا أعز ما لنا وأحب الناس إلى قلوبنا ... شقيقي «فريد» ...

لقد كان «فريد» وهو في مثل سنِّكم أو أصغر قليلًا، تلميذًا مجتهدًا، وابنًا بارًّا على خُلق عظيم ... وكان كل مَن يَعرفه يُحبُّه ... ويتنبأ له بمستقبل عظيم، ولكن ذلك كله انتهى الآن ... فقد اختفى «فريد»!»

وتنهَّد «تختخ» وعاود النظر إلى الأصدقاء فوجدهم جميعًا يَنظُرون إليه في فضول ممزوج بالدهشة والانتباه.

وأخذ «تختخ» نفسًا عميقًا، ثم مضى يقرأ:

«اختفى «فريد» منذ ثلاثة شهور تقريبًا؛ أي قبل مُنتصَف العام الدراسي بأسبوع واحد ... ولم يعُد، وكان اختفاؤه بسبب ظروفٍ مُعيَّنة سوف أرويها لكم إذا تفضَّلتم بزيارتي.

وأحبُّ أن أقول لكم إنه لم يُخطَف، لقد اختفى بإرادته، وقد بذلنا وبذل رجال الشرطة كل ما يمكن بذله لإعادته، ولكنه اختفى تمامًا، وأضيف أنكم قد تفكرون أنه مات، وهذا ممكن ولكن قلوبنا نحن الثلاثة؛ أبوه وأُمه وشقيقته تحسُّ أنه ما زال حيًّا.

هل أعتمد على قلوبكم الرحيمة في أن تمدُّوا يد العون لنا؟ إنني أرجو ذلك، وأترك لكم عنواني ورقم تليفوني في آخر هذه الرسالة لتتَّصلوا بي، ولتُحدِّدوا موعدًا للِّقاء لأرويَ لكم قصة «فريد» كاملة، وسبب اختفائه، لعلكم بذكائكم تتمكَّنون من إعادته.

ولكم خالص الشُّكر والامتنان مُقدمًا.

ليلى»

وطوى «تختخ» الرسالة ونظر للمرة الثالثة إلى المغامرين، كانوا جميعًا يبدو عليهم نوع من الأسى، ولم يكن في حاجة أن يسألهم إن كانوا سيُوافِقون على التدخل من أجل البحث عن «فريد» أم لا ... فقد كان متأكدًا أنهم على استعداد لذلك.

قطعت «لوزة» الصمت قائلة: إننا سنتدخَّل طبعًا!

وردَّ «محب» و«نوسة» و«عاطف» قائلين: طبعًا!

تختخ: هل أتصل بـ «ليلى»؟

مُحب: اسمها «ليلى»؟

تختخ: نعم ... منزلها في شرق المعادي.

نوسة: شيء غريب! إنَّنا لم نسمع عن هذا الموضوع قبل الآن.

عاطف: لا تنسَي أننا في مثل هذا الوقت لم نكن في المعادي؛ فقد سافرنا إلى الأقصر!

نوسة: صحيح ... إن ذاكرتك ممتازة «عاطف»!

تختخ: هل أتصل بـ «ليلى»؟

«لوزة» باندفاع: طبعًا، فورًا، يجب ألَّا نُضيع وقتًا!

وأسرعت «لوزة» بإحضار التليفون، وتردَّد «تختخ» لحظات، ثم حَزَم أمره ورفع السماعة وأخذ يُدير قُرص الأرقام، ووضع السماعة على أذنه، والأصداء جميعًا يتابعون كل حركة، في انتظار نتيجة المكالمة.

سمع «تختخ» الجرس يدقُّ على الجانب الآخر مرة، ومرتين، وثلاث مرات ... ثم سمع صوت السماعة تُرفع، وصوتًا رقيقًا يردُّ. قال «تختخ»: أنا «توفيق» ... أحد المغامرين الخمسة.

وسمع الصوت الرقيق يقول: أنا «ليلى»!

تختخ: لقد وصلتْنا رسالتُكِ، ونحن على استعداد لُمساعدتك ... مساعدتكم!

ليلى: شكرًا جزيلًا.

تختخ: هل يعلم والداكِ بأنكِ أرسلتِ هذه الرسالة؟

ليلى: نعم ... وآسفة أن أقول لكم إنهما ليسا مُتحمِّسَين جدًّا!

تختخ: لماذا؟

ليلى: لقد تدخَّل في هذا الموضوع أكفأ ضباط الشرطة، وبذلوا مجهودات ضخمة، ولكن «فريد» ظل مُختفيًا، وهما يظنَّان أنكم لن تتمكنوا من عمل شيء.

تختخ: إننا طبعًا لا نُحقِّق المعجزات، ولكن سنبذل ما بوسعنا.

ليلى: إن لي فيكن ثقة كاملة؛ فقد سمعتُ «سعاد» بنت الدكتور «مختار» تتحدث عنكم بحماس! كما أنكم في مثل سن «فريد».

تختخ: ومتى نستطيع زيارتك؟

ليلى: في أيِّ وقت، ما رأيكم في أن تأتوا الآن؟

تختخ: ليس عندنا مانع، سنكون عندك بعد ساعة.

ليلي: شكرًا، شكرًا!

ووضع «تختخ» السماعة، كان الأصدقاء قد سمعوا كل ما قاله، وعرفوا أنهم سيتحرَّكون بعد نصف ساعة، وكان «زنجر» أيضًا مُستعدًّا.

جلس «تختخ» ووضع ساقًا على ساق ثم قال: إن المدة طويلة؛ فقد اختفى «فريد» منذ ثلاثة شهور.

عاطف: إن العثور عليه ... سيكون معجزة.

مُحب: طبعًا!

قالت «لوزة» المتحمِّسة دائمًا: قد نجد دليلًا يدُلُّنا!

نوسة: لا تَنسَي أن رجال الشرطة سبقونا ... وأنهم بالتأكيد فحصوا كل شيء ووضعوا كل الاحتمالات، وتابعوا كل دليل مهما كان صغيرًا!

ظل «تختخ» يُردِّد: ثلاثة شهور؟! مدة طويلة!

لوزة: فلنحاول يا «تختخ»!

تختخ: سنحاول!

وانقضت نصف ساعة في مناقشة قصة «فريد»، ثم قفز المغامرون الخمسة إلى دراجاتهم، وقفز «زنجر» إلى مكانه المعتاد خلف «تختخ»، وانطلقوا جميعًا في الطريق إلى منزل «ليلى».

بعد حوالي ربع ساعة وصلُوا إلى الشارع الذي به العنوان ... كان شارعًا طويلًا تُظلِّلُه أشجار السنط الخَضراء ويَسودُه هدوء شامل كأنه خالٍ من السكان ... وبرغم أنه كان موازيًا لكورنيش النيل، فقد كانت الحركة فيه بسيطة فلم يرَ المُغامرون إلا شخصَين يَسيران على مبعدة.

وساروا على مهلٍ يبحثون عن العنوان، وأخيرًا وقفوا أمام الفيلا رقم «١٥» وأشار «تختخ» إليها قائلًا: هذه هي الفيلا التي كان يعيش فيها «فريد» ... تعالوا نتأمَّلها قليلًا.

كانت فيلا ضخمة أشبه بقصر، مبنية على الطراز الإنجليزي ذي السقف المُنحني على شكل رقم «٨»، وقد ارتفعت في حديقتها الكبيرة الأشجار الضخمة، وكانت العصافير تملأ الجو بزقزقتها المرتفعة. كان كل شيء يبدو جميلًا وسعيدًا، ولكن الحقيقة أن الفيلا رقم «١٥» كانت تعيش مأساة مؤلمة.

وقف المغامرون الخمسة يتأمَّلون الفيلا ... وقال «تختخ» في نفسه: لو أنني قررتُ أن أهرب من هذا المكان فماذا أفعل؟

أما «محب» فكان يسأل نفسه: لماذا يهرب شخص من هذا المكان الجميل؟

وقالت «نوسة» في نفسها أيضًا: لو أنني عشت هنا لما فكرت في الهرب ...

وقال «عاطف» مُحدثًا نفسه: لولا رسالة هذه الصغيرة «ليلى» لقُلت إنَّ الحكاية كلها نكتة مُضحكة، فلماذا يهرب ولد من هذا المكان؟

أما «لوزة» فقالت في نفسها: يا لها من مغامرة مدهشة أن نبحث عن ولد صغير كان يسكن هذه الفيلا!

واكتفى «زنجر» بهز ذيله وهو يتساءل عن السبب الذي حضروا من أجله إلى هذا المكان.

هل كانت تُهمة صحيحة؟

تقدم الأصدقاء من سور الحديقة الكبير الذي اختفى تحت غطاء سميك من نبات الياسمين، ووجدوا الجرس مُختفيًا تحت أوراق النبات ... وتقدم «محب» ودق الجرس ... وسرعان ما ظهر وجه بواب عجوز طيب، ابتسم لهم، فقال «محب»: نريد مقابلة «ليلى».

مدَّ البواب يدَه ففتح الباب قائلًا: تفضَّلوا!

مرَّ المغامرون الخمسة وخلفهم «زنجر» من الباب الكبير ... ووجدوا أنفسهم في حديقة واسعة لا مثيل لجمالها وروعتها ... وتذكَّرَت «لوزة» على الفور لغز الموسيقار الصغير «عصام»، لقد كان يسكن في فيلا مُماثلة، ولكن هذه الحديقة أكبر ... كانت المسافة بين باب الحديقة وباب الفيلا تزيد عن الخمسين مترًا ... ومن هذه المسافة البعيدة شاهَدَ المغامرون الخمسة فتاةً رقيقة كالفراشة تظهر على سلَّم الفيلا الرخامي وهي تلبَس ثوبًا أبيض اللون، وعندما شاهدَتْهم الفتاة نزَلَت السلَّم مُسرعة ثم أقبلت تمشي بخفَّة على العُشب الأخضر وتقدَّموا هم وتقدمت هي حتى التقوا في منتصف الطريق. ولاحظ المغامرون على الفور أن وجهها شديد الشحوب، وأن ابتسامتها الرقيقة لم تُخفِ آثار حزن واضح في وَجهِها الشاحب.

رحَّبَت بهم قائلة: مرحبًا بكم، وشكرًا على حضوركم ... أنا «ليلى»!

قالت «نوسة» وهي أقرب المغامرين سنًّا إليها: إننا سُعَداء أن نراكِ، وأُقدِّم لكِ أصدقائي «توفيق» ... «محب» ... «عاطف» ... «لوزة».

وتقدم كل منهم وسلم على الفتاة الصغيرة، وقالت «ليلى»: هل تُحبُّون أن نجلس في الحديقة؟

ردَّت «نوسة»: في الواقع إنها حديقة رائعة!

ومشت «ليلى» بينهم ... واتجهوا إلى خميلة جميلة أحاطت بها الورود وتعلَّقت بدوائرها الخشبية النباتات المتسلِّقة، ودعتهم في وداعة للجلوس، وجلسَت بينهم، وكرَّرت شُكرها على حضورهم.

وقال «تختخ»: لقد وصلتنا رسالتك، ونحن على استعداد للمساهمة في البحث عن «فريد» ... وإن كنت أُحب قبل أن نبدأ أن أقول لكِ إن المهمة ليسَت سهلة؛ لأن وقت غيابه طويل ... كما قلتِ ثلاثة أشهر تقريبًا!

قالت «ليلى»: أعرف ذلك، ولكن أملي فيكم كبير جدًّا، وبعد أن تَشربوا شيئًا سأبدأ الحديث.

قالت «لوزة»: نُفضل أن تَبدئي فورًا ... إن كلَّ دقيقة لها قيمتها!

ابتسم «عاطف» وكاد يُدلي بتعليقٍ ساخرٍ على هذا التسرُّع من «لوزة»، ولكن وجه ليلى الحزين أوقفه، فقد كان يُحسُّ مدى ألمها وحزنها على شقيقها الغائب.

ردت «ليلى» قائلة: كما ترون ... سأتحدث فورًا ... فإنني أشدُّ تلهفًا منكم على معرفة مكانه!

رفع «تختخ» يده قائلًا: قبل أن تقولي شيئًا أحب أن أوضح لك أننا نُريد أن نعرف كل شيء عن «فريد» قبل اختفائه ... كل ما يتعلق به، في المدرسة، في البيت، علاقته بزملائه وبكِ أنتِ، وبوالديه، وبالخدم ... كل شيء!

ليلى: سأقول لكم ما أذكره ... ويُمكنكم أن تسألوني عن مزيد من التفاصيل!

تختخ: معقول ... معقول جدًّا!

ركزت «ليلى» انتباهها لحظات ثم قالت: «فريد» هو شقيقي الأصغر، أنا في الرابعة عشرة وهو في الثالثة عشرة!

مُحب: هل لكِ أشقاء آخرون؟

ليلى: كان لنا شقيق أكبر تُوفِّيَ في حادث منذ خمسة أعوام!

سكت الأصدقاء ... فمضت «ليلى» تقول: كان «فريد» تلميذًا ممتازًا، وشقيقًا مُحبًّا لطيفًا، ربما كان عيبه الوحيد أنه كان شديد الحساسية، فكان يَغضب لأيِّ نقدٍ يُوجَّه إليه، وكان يحب الرحلات الخلوية، ويُجيد الصيد بالبندقية والسنارة ... والمشي، وهي رياضات كما ترَون انفرادية وليست جماعية؛ فقد كان يميل للوحدة، ولكن والدي ضغط عليه لينضمَّ إلى أحد الأندية، وفعلًا انضمَّ وأنا معه إلى أحد النوادي، وبعد ضغط آخر انضمَّ إلى فريق كرة السلة في النادي.

وكفت «ليلى» عن الكلام، فقد قدم أحد الشغالين صينية عليها أكواب عصير الليمون المثلَّج، وفي الواقع أن «تختخ» كان عطشان، فشرب كوبه دفعة واحدة، وسعد عندما سمع «ليلى» الذكية تقول: لعل «توفيق» يحب أن يتناول كوبًا آخر!

ثم قدمت كوبها له قائلة: سيُحضِر عم «عبده» كوبًا آخر لي.

وحاول «تختخ» أن يعترض، وبخاصة عندما لمح طيف ابتسامة تُلوح على شفاه المغامرين، ولكن «ليلى» ألحت عليه ... فتناول الكوب الثانية، وهو يغضُّ من بصره حتى لا يلتقي بعيون المغامرين.

ومضت «ليلى» تقول: وربما كان انضمامنا للنادي هو سبب كل ما حدث.

وبدأ اهتمام الأصدقاء يتزايد، وأكملت «ليلى» قصتها: ففي ذات يوم ذهب «فريد» متأخرًا إلى النادي للتمرين، ودخل غرفة الملابس حيث خلَع ثيابه، ثم انضم إلى بقية زملائه — وبعضهم من مدرسته — حيث أدى التمرين، ثم عاد اللاعبون جميعًا إلى صالة خلع الملابس.

صمتت «ليلى» لحظات ثم قالت: وبدأت الكارثة!

وثبت المغامرون أنظارهم على «ليلى» فقد بدأت قصة الاختفاء، وقالت «ليلى»: عندما لبس اللاعبون ثيابهم صاح أحدهم إنَّ ساعته ونقوده قد سُرقت، وقرَّر المدرب أن يُفتِّش جميع من كانوا في صالة اللبس، وللأسف والعجب معًا، فقد وجدوا الساعة والنقود في جيب «فريد»!

وسكتَت «ليلى» وأدارت بصرها في وجوه المغامرين الخمسة لترى أثر هذا الحادث على وجوههم، ثم مضت تقول: وأكَّد «فريد» أنه بريء ... وأنه لم يأخذ الساعة ولا النقود، وأنها مُفاجأة قاسية له أن وجدوها في جيبه ... وقال المدرب إنه يصدقه، ولكن الذي حدث أن حكاية السرقة انتشرت في النادي ... ثم انتشرت في المدرسة أيضًا ... وبدأ «فريد» — وهو كما قلت لكم شديد الحساسية — يلاحظ أن نظرات بعض الأصدقاء والزملاء إليه تغيَّرت ... بل إن بعض زملائه يتهامسون بينهم بأنه «لص».

وساد الصمت لحظات، ثم تنهَّدت «ليلى» قائلة: وذات صباح خرج «فريد» بدراجته «الرالي» الزرقاء إلى المدرسة ... ولم يَعُد ... وظننَّا في البداية أنه قد وقع ضحية حادث في الطريق، وقام والدي بالاتصال بالشرطة، وبحثُوا في كل المُستشفيات دون أن يجدُوا له أثرًا ... ومضى يومان دون أن يظهر «فريد»، وبدأنا نشكُّ أنه خُطف طلبًا للفدية، فوالدي على جانب لا بأس به من الثراء ... ولكن في اليوم الثالث وصلتْنا رسالة منه.

وتوقَّفَت «ليلى» عن الحديث، وبدا واضحًا أنها تُغالب نفسها حتى لا تبكي ثم مضت تقول: كان في الرسالة سطور قليلة، أكَّد فيها «فريد» أنه يُحبُّنا ... ولكنه لم يَعُد يستطيع الحياة في المعادي بعد الحادث الذي جرى، وأنه يُفضل الاختفاء فترة من الوقت ... ورجانا ألَّا نبحث عنه ... ووعدنا أن يُرسل لنا رسائل أخرى لنطمئن عليه.

قالت «نوسة» فجأةً: وهل فعل؟

ردَّت «ليلى» بحزنٍ: للأسف ... كانت هذه أول وآخر رسالة تلقيناها منه، وبعدها اختفت أخبار «فريد»، وقد بذَلَ رجال الشرطة كما قلتُ لكم في رسالتي جهودًا جبارة للبحث عنه وتقفِّي آثاره، ولكن كل ذلك لم يُؤدِّ إلى شيء، كما قام والدي بنشر نداء في الصحف يَطلب منه العودة، ولكن لم نتلقَّ أيَّ ردٍّ ... بل إنَّ والدي رصد مكافأة ضخمة لمن يُرشد عنه ... ولكن بلا جدوى ...

مُحب: وهل علم والدك بما حدث في النادي في اليوم نفسه؟

ليلى: لا ... لقد كنتُ وحدي الذي علم، وقد رجاني «فريد» ألا أُخبر والِدَينا بما حدث، ولم يعلما إلا بعد أن اختفى!

تختخ: آسفٌ أن أعاود السؤال في موضوع هوايات «فريد»، لقد قلت إنه كان يَهوى المشي والصيد، ألم تكن له هوايات أخرى؟

ردت «ليلى»: كان يهوى قيادة السيارات ... وكثيرًا ما كان يقود سيارتنا داخل الحديقة في الممرات بمهارة واضحة رغم صغر سنِّه ... وكان أيضًا يهوى إصلاح السيارات ومُختلف الآلات، كما كان يهوى التصوير الفوتوغرافي.

عاد «تختخ» ليقول: ما هو المبلغ الذي كان معه عندما اختفى؟

ليلى: لا أعرف بالضبط، ولكن ما بين الخمسين قرشًا وجنيه واحد!

تختخ: ألم تَعثُروا على الدراجة؟

ليلى: لا ...

تختخ: هل أستطيع زيارة غرفته؟

ليلى: بالطبع!

وقام «تختخ» و«نوسة» فقط، واتجها مع «ليلى» إلى داخل الفيلا، وقالت «ليلى»: هل تحبان مقابلة والديَّ؟!

تبادل «تختخ» و«نوسة» النظرات ... ثم قالت «نوسة» بصوت خافت: لا داعي الآن ... إننا نرجو أن نراهما في ظروف أفضل!

واجتازوا ممرًّا طويلًا داخل الفيلا، ثم انحرفوا في نهايته إلى صالة فيها مكتبة وكرسيان ومكتبان، ثم دخلا غرفة واسعة … ولفَتَ نظر «تختخ» على الفور عدد كبير من الصور مُعلقة على الحائط؛ لوحات جميلة لنهر النيل.

قالت «ليلى» عندما لاحظت نظرة «تختخ»: لقد كان «فريد» يحب نهر النيل جدًّا … وقد التقط له مئات الصور في مختلف ساعات النهار، ومن أسوان إلى دمياط، وإلى الإسكندرية، وقد كسب مرة في مسابقة للتصوير بهذه اللوحة!

وأشارت إلى لوحة كبيرة عُلقت بجوار فراش «فريد» وأخذ «تختخ» ينظر إليها متأملًا … ثم التفتَ على صوت «ليلى» وهي تقول: هذا هو فِراشُه … وهذا دولاب ملابسه …

وأخذت «نوسة» و«تختخ» يَفحصان أشياء «فريد» باهتمام. وكانت دهشة «ليلى» تتزايد وهي ترى «تختخ» يَفحص الأحذية والقمصان … وكأنه يبحث عن شيء هام … ثم خرج الثلاثة إلى الصالة، وأشارت «ليلى» إلى مكتب «فريد»، ومرةً أخرى انهمك «تختخ» في فحص الكتب والأوراق والأقلام بالاهتمام نفسه. ثم أشار إلى أدراج المكتب مُستأذنًا في فتحها، فأحنت «ليلى» رأسها موافقة، وفتح «تختخ» أدراج المكتب وأخذ يفحص ما فيها من أشياء صغيرة … منها مجموعة من الرسائل قرأها بسُرعة … ثم قال «تختخ»: هل أجد عندك بعض صور لـ «فريد»؟

ليلى: طبعًا، عندي مجموعة كبيرة له!

وفتحت درج مكتبها وأخرجت «ألبوم» صور، أخذ «تختخ» و«نوسة» يتفرَّجان عليه، وفجأةً توقَّف «تختخ» عند صورة وقال: هل دخل «فريد» المستشفى؟

ليلى: نعم … كان قد سقط مرة عند الهرم وأُصيب في قدمه ونُقل إلى المستشفى حيث أُجريت له عملية.

تختخ: هل تركت العملية أثرًا؟

ليلى: أثر بسيط جدًّا في قدمه اليُسرى، لا يبدو في مشيه إلا لمن يعرف الإصابة!

تختخ: شكرًا لك … سنأخذ بعض الصور لو أذنتِ.

تختخ يتحدث كثيرًا

عندما اجتمَع المغامرون الخمسة ذلك المساء ... كان عند «تختخ» حديث طويل للأصدقاء، وقد استمعوا إليه في دهشة وإعجاب ...

قال «تختخ»: أيها المغامرون الخمسة ... إنَّ أمامنا موضوعًا جديدًا للبحث لم يسبق لنا أن عالجناه، ربما صادفنا مرة واحدة في لغز الموسيقار الصغير، ولكن ليس بهذا العمق. إننا نريد البحث عن ولد صغير بين ٣٦ مليونًا من البشر يُقيمون في بلادنا ... وسنَبحث عنه دون دليل واحد عن مكانه إلا ما ترَكه لنا من عادات وهوايات وذكريات، وسنعتمد في بحثنا على ذكائنا فقط وعلى تجاربنا ... سيكون هذا تحديًا لا مثيل له ... وبخاصة إذا عرفنا أن رجال الشرطة قد أخفقوا في حل لغز غياب هذا الولد الصغير.

وشرب «تختخ» رشفة من كوب العصير، ثم قال: لقد قلتُ إننا سنَعتمِد على ذكائنا وتجاربنا فقط، ولكن الحقيقة أنَّنا سنَعتمِد على شيء ثالث، سنعتمد على خيالنا.

قال «عاطف»: لعلَّ هرب «فريد» هذا قصة خيالية!

رد «تختخ»: لا داعي للهزار يا «عاطف» ... إنه قصة حقيقية لها مَحاضر في أقسام الشرطة ... ولها آثار، وبرغم أن القصة حقيقية كما قلت لكم ... فإنني أعتمد على خيالكم في حلها!

ورفع «تختخ» يدَيه إلى فوق ثم قال: تعالوا نتخيل أن كل واحد منَّا هو «فريد»، تعالوا نتصور ولدًا صغيرًا بريئًا اتُّهِم ظُلْمًا ولم يتحمَّل الموقف.

محب: الحقيقة أنني أعتبره جبانًا، لماذا لم يُقاوم ويدافع عن نفسه؟

تختخ: إننا لم نتدخل في هذا الموضوع لمحاكمته، إنه بلا شك ارتكب خطأً شنيعًا بهربه؛ فالرجل الحقيقي لا يهرب، ولكن هذه مسألة سنناقشها فيما بعد، المهم الآن أنَّنا نريد أن نعثر عليه، وقد ظللت طوال النهار أُفكر كيف نُحدِّد مكانه، ولكنني أخفقت، ولهذا

فإنني أطلب منكم جميعًا، من كل واحد منكم أن يتخيَّل أنه «فريد»، وأنه خرج من منزله في الساعة السابعة صباحًا ليركب دراجته الرالي الزرقاء … ومعه مبلغ لا يزيد عن جنيه … فأين يهرب؟

سكت «تختخ» لحظات، ثم قال: فكروا معي، ليضع كل منكم نفسه مكان «فريد» كما رأيتم القصر الذي يسكن فيه، وكما ستَرَون شكله، وهذه هي الصور.

ومد «تختخ» يده بمجموعة الصور التي أخذها من «ليلى» إلى الأصدقاء وأخذ كلٌّ منهم ينظر إلى الصورة، ورأوا ولدًا رقيقًا، واسع العينين، مرتفع الجبين، طويل الوجه، رفيع الذقن، أنيق الملبس، ويبتسم في هدوء.

قالت «نوسة»: لقد شاهدت مجموعة أخرى من الصور، وقد كوَّنت فكرة عنه، إنه ولد هادئ، رقيق، حساس، من ذلك النوع الذي يميل للوحدة!

تختخ: هذا ما قالته أخته عنه بالضبط، والآن أريدكم أن تُفكِّروا معي … ليتخيَّل كلٌّ منكم أنه «فريد» فماذا يفعل؟ إذا تذكرنا هواياته؛ الصيد، الرحلات، السيارات، التصوير، وبخاصة نهر النيل.

وركز الأصدقاء جميعًا تفكيرهم، وبعد لحظات قالت «لوزة»: أذهب إلى الكورنيش وأتمشَّى على النيل.

تختخ: معقول … ولكن إلى أين؟

عاد الصمت من جديد … وقال «محب»: من الصعب التصوُّر يا «تختخ»!

تختخ: سأعطيكم معلومات إضافية، عندما كنت أُقلِّب في مكتب «فريد» وجدت مجموعة من الرسائل، بعضها من خارج مصر؛ من لبنان، وسوريا، والكويت، وبعضها من داخل مصر؛ من أسوان، ومن دمياط والإسكندرية وطنطا والمنصورة!

عاطف: هل تقصد أنه سافر خارج مصر!

تختخ: لا … إنَّ ذلك مُستبعَد، بل مُستحيل! ولكنني أتخيل نفسي مكانه، إن أول ما أفكر فيه أن أتجه إلى أحد أصدقائي ممن أراسلهم.

فجأة قالت «نوسة»: الرسالة التي أرسلها «فريد» إلى أسرته من أين أرسلها؟

خبط «تختخ» جبهته وقال: كيف نسيتُ هذه النقطة! هاتي التليفون لو سمحت يا «لوزة».

وأسرعت «لوزة» بإحضار التليفون، واتصل «تختخ» ب «ليلى»، وبعد حديث قصير وضع السماعة، ثم قال: سترسل «ليلى» لنا الرسالة، ومجموعة من الرسائل التي تحدثتُ إليكم عنها الآن.

قال «محب»: لو أن الرسالة التي أرسلها ستكون من أحد البلاد التي ذكرتَها، فمعنى هذا أنه كان وما زال موجودًا هناك!

تختخ: أو كان هناك ثم انتقَل إلى مكان آخر!

عاطف: ولكن المسألة ليست بهذه البساطة، فلا بدَّ أن رجال الشرطة قد تتبعوا هذا الخيط!

تختخ: أشك أن رجال الشرطة اهتموا بهذا ... إنهم عادة يُوزِّعون صورًا للهارب على أقسام الشرطة، وربما أرسلوا بعض المفتشين للبحث عنه في الأماكن التي قد يَشتبه بعض الناس أنه تردد عليها ... وربما ذهبوا إلى أقاربه، ولكنهم لم يفكروا في قراءة رسائله، وعلى كل حالٍ لا بأس أن نسأل «ليلى».

وعاود «تختخ» الاتصال بـ «ليلى» وعرف منها أن رجال الشرطة اهتمُّوا بالرسائل أيضًا، ثم سألها «تختخ»: ماذا كان نوع الدراجة التي كان يركبها «فريد»؟

ردت «ليلى»: دراجة مقاس ٢٦، من طراز «رالي»، وبها حقيبة من الخلف كان بها بعض الأدوات، وفي يوم مغادرته المنزل كان بها آلة تصوير!

تختخ: آلة التصوير؟!

ليلى: نعم!

تختخ: ذلك شيء هام للغاية، لماذا لم تقولي لي؟

ليلى: إنك لم تسألني!

تختخ: هل كان معه أدوات الصيد؟

ليلى: لا ...

تختخ: شكرًا، هل بعثتِ بالرسالة التي أرسلها ورسائل أصدقائه؟

ليلى: نعم، إنها في الطريق إليك!

وضع «تختخ» السماعة ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: لقد كان معه آلة التصوير!

عاطف: وهل يضيف هذا شيئًا؟

تختخ: طبعًا، نتلمَّس طريقنا في ظلام حالك ... وكل شيء نعرفه عن «فريد» هو نوع من الضوء مهما كان ضئيلًا يُنير لنا الطريق.

وسمعوا صوت سيارة تقف أمام باب الحديقة، ثم ظهر رجل على الباب، فأسرع «عاطف» إليه، وعاد بمظروف أبيض كبير سلمه لـ «تختخ» الذي أخرج مجموعة رسائل مربوطة بخيط من الحرير الأزرق، ورسالة «فريد»، كان واضحًا من مظروفها البالي أنه

فُتح كثيرًا ... وأخذ «تختخ» يتأمل الأختام ثم قال: للأسف الرسالة ليسَت من أي بلد من البلاد التي ذكرتُها، إنها من «بنها»!

عاطف: إن ذلك يهدم نظريتك!

تختخ: سنرى!

وأخرج «تختخ» الرسالة وقرأها بصوت مرتفع ... ولم تزد عن بضعة سطور يَعتذِر فيها «فريد» عن هربه ... ويتمنى لأسرته السعادة كما ذكَرَت «ليلى».

وأمسك «تختخ» ببقية الرسالة وقرأها، ثم أخرج ورقة وقلمًا من جيبه، ونقل أسماء وعناوين الأصدقاء الذين كانوا يُراسلون «فريد»، ولحُسن الحظ كانوا جميعًا يكتبون عناوينهم على ظهور المظاريف.

سأل «محب»: أليس بينها رسالة من «بنها»؟

تختخ: لا للأسف، ولكني ما زلتُ مُتمسِّكًا بنظريتي أن «فريد» ذهب أولًا إلى أحد أصدقائه، ثم بقي في هذا المكان أو غادره!

لوزة: ولكن يا «تختخ» لو أن «فريد» ذهب إلى أحد أصدقائه ألم يكن من واجب هذا الصديق أن يُبلغ أسرة «فريد»؟

ابتسم «تختخ» للمُغامِرة الذكية وقال: هذه نقطة فكرتُ فيها طويلًا يا «لوزة» ووصلت إلى أكثر من تفسير سوف أقوله لكم في الوقت المناسب، أما الآن فيجب أن أذهب إلى المنزل فسوف أسافر غدًا إلى «بنها»!

لوزة: وحدك؟

تختخ: معي «محب» و«عاطف».

لوزة: و«نوسة» ... وأنا؟

تختخ: سيأتي دوركما، ولكن الرحلة إلى «بنها» حسب توقُّعي قد تطول ... وستُكلِّفنا مالًا كثيرًا ... وميزانيتنا كما تعرفين!

مُحب: وماذا تتوقَّع أن نجد في «بنها»؟

تختخ: لا أعرف بالضبط، ولكني سأبحث عن دراجة من طراز «رالي» أتوقع أن يكون «فريد» قد باعها هناك!

مُحب: وبعد ذلك؟

تختخ: وبعد ذلك لا أدري، سنَترك ذلك لما نجده قد تركه في «بنها» من آثار وربما ما زال هناك!

عاطف: من المؤكد أن رجال الشرطة قد أمسكوا بهذا الخيط!

تختخ: سأتجاهل كل الجهود التي بُذلت من قبل للعثور على «فريد» ... إنه ما زال غائبًا! ومعنى ذلك أن الجهود التي بُذلت من قبل قد أخفقت، فلنبدأ نحن، وكأن أحدًا لم يسبقنا للبحث عنه.

مُحب: كم هي المدة التي تتوقَّع أن نتغيَّبها؟

تختخ: لا أدري بالضبط، ولكن على كلٍّ منكما أن يحضر ما معه من نقود، وأن يُخطر أسرته أننا في رحلة قد تطول بضعة أيام.

ران الصمت على الأصدقاء بعد ذلك، ونظر «تختخ» إلى صورة «فريد» طويلًا، ثم قال وكأنه يُحدث نفسه: إذا كنتَ حيًّا فسنجدُك!

قالت «نوسة»: ماذا تقول يا «تختخ»؟

ابتسم «تختخ» قائلًا: إنني أُحدث «فريد»، وفي الحقيقة أنني لم أتمنَّ شيئًا في حياتي مثل العثور عليه!

ابتسمت «لوزة» قائلة: لعلَّ دموع «ليلى» أثرت فيك!

قال «تختخ»: ووالداها المسكينان أيضًا.

ووقف «تختخ» وقال لـ «لوزة» و«نوسة» وهو يُودِّعهما: سنتصل بكما كلما أنجزنا شيئًا ونرجو أن تُبلغانا أية معلومات جديدة قد تصل إليكما.

وعندما عاد «تختخ» إلى غرفته جلس وحيدًا يُفكِّر، كيف يجد بين هذه المعلومات البسيطة عن «فريد» طريقًا للوصول إليه ... إنه الآن لا يُطارد مجرمًا فارًّا من العدالة، ولا يحل لغزًا عن سرقة ... ولكنه يبحث عن ولد صغير ظُلم ولم يستطع الثبات للدفاع عن نفسه، وهذا الولد غاب طويلًا عن أسرته ولم يستطع أحد إعادته، فهل يستطيع هو وبقية المغامرين العثور عليه؟ كيف؟ وأين؟

ووضع صورة «فريد» على «الكومودينو» بجوار فراشه، وأخذ يخلع ملابسه وهو ينظر إليه، كأن «فريد» شخصيًّا هو الذي أمامه وليس صورته، فقال له:

أين أنت الآن؟ ميت؟ حي؟ في أسوان؟ في الإسكندرية؟ في دمياط؟ مُتشرِّد بلا مأوى؟ تشتغل؟

وعندما انتهى من تغيير ملابسه، جلس على حافة الفراش يُقيِّد في دفتر مذكراته كل ما يتصل بهذه المغامرة العجيبة، واستسلم للنوم وهو يدير بينه وبين «فريد» هذا الحوار الصامت كأنما ينتظر أن تتحدث الصورة وتقول له أين صاحبها.

حدث في الزحام

في الصباح الباكر كان المغامرون الثلاثة؛ «تختخ» و«محب» و«عاطف» يجلسون في القطار المسافر إلى «بنها». جلسُوا صامتين، القطار يُغادِر المحطة في بطء، كان كلٌّ منهم مستغرقًا في خواطره، إنهم مسافرون إلى «بنها» للبحث عن دراجة «رالي» زرقاء ... ولون الكاوتش أبيض ... فهل يجدونها؟ وإذا وجدوها هل يعني هذا شيئًا بالنسبة لهم؟ إن أفكارهم ليست واضحة ... وحتى «تختخ» صاحب الفكرة لم يكن متأكدًا أن العثور على الدراجة سيؤدي إلى شيء، صحيح أنها بداية، ولكن بداية أي شيء؟!

وعندما غادر القطار محطة القاهرة، واستقبل الريف الأخضر ... سرح «تختخ» بخياله قليلًا خلف «فريد». كان كعادته يضع نفسه مكان الشخص الآخر، ويُحاول أن يفكر مثله ... فماذا فعل «فريد»؟

«تختخ» يتصور أنه لو كان مكانه ... فسوف يقود دراجته إلى «بنها» ... إنه رحالة يحب السفر، والمسافة بين القاهرة وبنها ٤٥ كيلومترًا، ومن المُمكن قطع هذه المسافة في يوم مع أخذ الراحة الكافية بين مسافة وأخرى، ويصل «فريد» إلى «بنها» جائعًا مُتعبًا ... إنه في حاجة إلى مكان يبيت فيه ... فهل يُمكن أن يُقدم صبيٌّ في مثل سنِّه على النوم في فندق؟! قال «تختخ» في نفسه: غير متوقَّع، وهو لن يسافر راكبًا دراجته ليلًا. إنه في الأغلب سيقضي الوقت ساهرًا ... ولكن أين؟

إنَّ المكان الوحيد الذي يسهر في المدن الصغيرة هو بوفيه محطة السكة الحديد، وبخاصة في «بنها» حيث تمر بها كل القطارات التي تغادر القاهرة إلى الوجه البحري، والتي تعود من الطريق نفسه.

هل يجد شخصًا يذكر ولدًا صغيرًا يلبس قميصًا وبنطلونًا و«بلوفر» في بوفيه المحطة طوال الليل ... صعب جدًّا فقد مرَّت ثلاثة شهور، ومن الصعب أن يتذكر أحد هذا الولد ومع ذلك فلنُحاول!

ووصل القطار إلى محطة «بنها» بعد ٣٥ دقيقة، ونزل المغامرون الثلاثة، ونظر «تختخ» حوله، كام الزحام شديدًا، وبوفيه المحطة مُمتلئًا بالمسافرين، وقال «محب» مُتسائلًا: هذه هي «بنها»، ما هي خطتك؟

تختخ: لقد فكرتُ طويلًا وأعتقد أنه باع الدراجة هنا!

عاطف: باعها؟

تختخ: نعم … إنه بعد أن يصل إلى «بنها» ستُصبح عبئًا عليه، وبخاصة في الشتاء والطرق مُوحلة وركوب الدراجة ليس أمرًا سهلًا.

مُحب: هل سنَبحث عنه في محلات تأجير الدراجات؟

تختخ: بالضبط، ولكن في الأغلب سوف يُنكرُون أنهم اشتروها منه، فليس من المعتاد أن يشتري تاجر من صبيٍّ صغيرٍ، عليكم فقط بالمراقبة، وسنَستمر في المراقبة حتى الواحدة، ثم نجتمع هنا في بوفيه المحطة لنرى ماذا فعلنا.

ونزل الثلاثة سلَّم المحطة، وأشار «تختخ» إلى اليمين، وقال لـ «محب»: منطقتك من هنا، ثم أشار إلى اليسار، وقال لـ «عاطف»: وأنت هنا، وسأبحث أنا في وسط المدينة.

ومشى الأصدقاء الثلاثة كل في طريقه، كان قلب «تختخ» يُحدثه أنهم لن يجدوا الدراجة، فلا بد أن من اشتراها سيغير معالمها، ولكن قال لنفسه: ليس أمامنا إلا أن نفعل هذا؛ فقد يؤدي العثور عليها إلى تطور جديد يساعدنا.

كانت منطقة وسط المدينة مزدحمة … وأخذ «تختخ» يسأل هنا وهناك عن محلات الدراجات، وتمنى أن يجد صبيًّا ممن يعملون في أحد هذه المحلات حتى يُمكن التفاهم معه، وتحقَّق أمله بأسرع مما توقع. فقد لفت نظره مشاجرة صغيرة بين ثلاثة أولاد، كان أحدهم بلا شك من الصبيان الذين يعملون في محلات الدراجات؛ فقد كان هناك دراجتان، والولد المتَّسخ الثياب بالزيت والشحم يحاول جذب إحدى الدراجتين من ولد صغير، وكان يَصيح: لقد تأخرتَ عن موعدك ربع ساعة.

رد الولد في غضب: أبدًا، ما زال أمامي خمس دقائق!

واقترب «تختخ» حتى أصبح في وسط المشاجرة، وتدخَّل سريعًا لفضِّ المشكلة، وكانت أفضل طريقة خمسة قروش وضعها في يد الولد المتَّسخ الثياب … وبدت الدهشة على وجوه الثلاثة، ولكن «تختخ» الذي كان متعجلًا قال للولد: أنت «حُسني»؟

رد الولد المتسخ الثياب بعد أن أطلق سراح الدراجة: لا … أنا «صُبحي»!

كانت حيلة بسيطة لمعرفة اسمه فقال «تختخ»: «صبحي» آسف لقد نسيتُ اسمك، إنك لا تتذكَّرُني؟

صبحي: لا … إنك لستَ زبونًا عندنا!

تختخ: إنني زبون المحل الآخر.

صبحي: محل «الزفتاوي» إن دراجاتهم كلها مكسَّرة!

تختخ: ولكن عندهم عجلة «رالي» زرقاء ممتازة!

تردَّد «صبحي» قليلًا، ولمح «تختخ» على الفور أن الحديث عن الدراجة «الرالي» الزرقاء أثار في نفس «صبحي» شيئًا، فقد قفز إلى دراجته وحاول الفرار، ولكن «تختخ» أمسك بالدراجة وقال: لا تخَفْ يا «صبحي» فقط أريد أن أعرف، هل صاحب الدراجة هنا؟

صبحي: أنا لا أعرف … اتركني أرجوك وإلَّا ضربني الأسطى فقد تأخَّرت!

استيقظت حواس «تختخ» كلها، لقد وقع على أثر، إن دراجة «فريد» هنا فعلًا في «بنها» ولكنَّ ثمة شيئًا عنها يجب أن يختفي.

عاد «تختخ» يقول: صدِّقْني إنني لا أريد استرداد الدراجة، إنني فقط أسأل عن صاحبها!

رد «صبحي» في صدق: أقسم لك أنَّني لم أره في حياتي!

تختخ: والدراجة؟

صبحي: لا علاقة لي بها.

وفجأة ضرب «صبحي» يد «تختخ» المُمسكة بالدراجة ضربة مُوجعة، وأطلق للدراجة العنان، وكان في إمكان «تختخ» أن يُمسكه مرة أخرى … لولا الزحام الذي اختفى فيه الولد سريعًا.

وقف «تختخ» مكانه لحظات، كان يحس بشعورين متضاربين … شعور الرضا عن نفسه لأن استنتاجاته كانت صحيحة … وشعور السخط لأن «صبحي» أفلت منه … ومشى في الاتجاه الذي اختفى فيه «صبحي» … لم يكن يُريد أن يلحق به … كان يريد السؤال عن المحلِّ الذي يعمل فيه … وسرعان ما كان أحد الصبية الصغار يُشير له على محلٍّ صغير اصطفَّت أمامه الدراجات، لم يكن «صبحي» قد وصل بعد … واختار «تختخ» مقهًى صغيرًا مواجهًا لمحلِّ الدراجات، وجلس داخل المقهى في الظل حيث لا يراه من في الشارع وأخذ يراقب محل الدراجات. شاهد رجلًا لم يشكَّ أنه صاحب المحل يجلس على كرسي قديم، وقد أمسك بشيشة وأخذ يدخن، وبجواره كوب من الشاي، وكان صبيان المحلِّ يعملون في تنظيف الدراجات وإصلاحها، وبعض الصبية يستأجرون الدراجات وينطلقون بها فَرِحين، ومضت نصف ساعة في المراقبة. ثم فجأة ظهر «صبحي» ماشيًا على قدمَيْه

واقترب من الأسطى صاحب المحل ومال على أذنه، وأسرَّ شيئًا، وابتسم الأسطى، وربَّت على كتف «صبحي» لم يَعُد هناك شك لدى «تختخ» أن وراء الأسطى و«صبحي» معًا سرًّا هامًّا، وهذا السر له علاقة مؤكَّدة بالدراجة «الرالي» الزرقاء ... وتمنَّى أن يقابل «محب» و«عاطف» سريعًا لمناقشة الموقف بدلًا من إضاعة وقتهما في البحث عن الدراجة ولن يَجِدا شيئًا.

ظلَّ «تختخ» مكانه في المقهى يراقب المحل، لم يكن ينتظر شيئًا محددًا ولكنه تمنى أن يرى الدراجة «الرالي» ضمن دراجات المحل. ولكن بخبرته بالدراجات فحصها جميعًا بنظرة مُتأنية وتأكَّد أنه ليس بينها الدراجة المقصودة. وظلَّ يُراقب «صبحي» الذي كان يختفي أحيانًا، ويظهر أحيانًا، ولكن سلوكه كان عاديًّا، وكذلك الأسطى. وعندما نظر في ساعته ووجدها قد أشرفت على الثانية عشرة والنصف، انتهز فرصة غياب «صبحي» وانسلَّ بسرعة ثم اتجه إلى المحطة التي لم تكن بعيدة.

وجد «محب» و«عاطف» قد سبقاه إلى هناك، وكان واضحًا من ملامحهما أنهما لم يعثرا على شيء هام، وعندما شاهدا «تختخ» اتجها إليه، ثم دخل الثلاثة إلى «بوفيه» المحطة.

قال «محب»: عرفنا جميع محلات الدراجات، وقد مررنا بها جميعًا فلم نجد شيئًا، هذا طبعًا بالنسبة للجهتيْن اللتيْن بحثنا فيهما، هل وجدت شيئًا في وسط المدينة؟

قال «تختخ» مُتمهلًا: وجدت الدراجة!

تساءل «عاطف» بسرعة: غير معقول ... وأين هي؟

تختخ: في مكان ما من هذه المدينة!

عاطف: وأين رأيتها؟

تختخ: إنني لم أرها!

قال «محب» الذي كان يتابع الحوار متلهفًا: دعك من هذا الغموض، كيف تقول قد وجدت الدراجة وأنت لم ترها؟

تختخ: إنني لم أرها ... ولكنني وجدتها!

وأمام نظرات «محب» و«عاطف» وحيرتهما روى «تختخ» لهما الأحداث التي مرت به في الساعات الماضية، وأنهى حديثه قائلًا: أعتقد أن «صبحي» بعد أن أفلتَ منِّي أسرع لإخبار الأسطى بما قلت له عن الدراجة، وهكذا أعطاه إياها الأسطى ليُخفيَها بعيدًا ... بدليل أن «صبحي» عاد بعد ذلك على قدمَيه!

لم يكن هناك شكٌّ أن الاستنتاجات صحيحة، ولكن كيف الاستفادة منها؟!

قال «تختخ» إن الدراجة نفسها لا تُهمني، إن ما يهمني هو هل «فريد» موجود هنا أم لا … أما الدراجة فلا تهمنا في شيء!

عاطف: وما العمل؟

تختخ: سنجد وسيلة بعد أن نتناول الغداء، فأنا جائع جدًّا، وأنتما تعرفان أنني لا أستطيع التفكير ومعدتي تصرخ، إن صوتها أعلى من صوت العقل.

وابتسم الصديقان وقال «تختخ»: لقد لمحتُ مطعمًا صغيرًا بجوار المحطة، تتصاعد منه رائحة شهية!

هز «محب» يده في جيبه وقال: رفقًا بالميزانية، وإلا انتهت المغامرة في المطعم!

قال «عاطف»: لعلنا نجد «فريد» يعمل «جرسونًا» في المطعم وتنتهي المغامرة نهاية سعيدة على صوت الشوك والملاعق والسكاكين!

ونزلوا بالدرجات التي تؤدي إلى الشارع الموازي للمحطة، وانطلق «تختخ» وكأنه «زنجر» مُسرعًا في اتجاه المطعم، ولكن أحلام «تختخ» في طعام شهي تلاشَت بأسرع مما يتوقع، فما كادوا يدخلون المطعم حتى فوجئ «محب» و«عاطف» بـ «تختخ» يمسك بولد صغير كان خارجًا من المطعم يحمل ورقة مُحملة بالساندوتشات.

قال «تختخ» وهو يقبض على ذراع الولد بشدة: أظنُّكَ لن تستطيع الهرب هذه المرة!

ولفت نظر «محب» و«عاطف» ما ظهر على وجه الولد من خوف ولكن «تختخ» قال: اسمع يا «صُبحي» … كلمة واحدة … إما أن تقول لي حكاية الدراجة بالضبط وإلا لن أتركَكَ إلا في قسم الشرطة.

اصفر وجه «صبحي» وسقطت ورقة الساندوتشات من يده، وقال: أُقسم لك يا أستاذ أنني لم أسرقها!

تختخ: مَن الذي سرقها إذن؟

صبحي: اسأل عن «عقلة» ماسح الأحذية في «بوفيه» المحطة، إنه الذي يعرف الحكاية كلها!

تختخ: إنك لا تكذب؟

صبحي: أُقسم لك يا أستاذ … إنني غلبان ولم أفعل شيئًا!

في الحواري المُظلمة

كانت رائحة الشواء ترتفع من المطعم تعلن عن غذاء لذيذ ... وكان بطن «تختخ» يَجذبه ... ولكن نداء المغامَرة والواجب كان أقوى ... وهكذا غادَرُوا المطعم مُسرعين إلى بوفيه المحطة ... كان الزحام أكثر شدة في هذا الوقت من النهار ... وأخذوا يَنظُرون بين الموائد بحثًا عن «عقلة»، ولكن لم يكن في البوفيه ولد صغير يمسح الأحذية، ولم يتردَّد «محب» اقترب من أحد الجرسونات وسأله: أين «عقلة»؟

رد الجرسون وهو يمضي مسرعًا بين الموائد: إنه يأتي ليلًا فقط!

وكأنما كان «تختخ» يتلقَّف هذه الإجابة فقد قال على الفور: إذن هيا بنا إلى المطعم!

ومرة أخرى ابتسم «محب» و«عاطف» وانطلقوا جميعًا إلى المطعم الصغير، وسرعان ما انهمك الثلاثة في غذاء شهي من الكباب والكفتة ... ولم يكن بينهم من يفكر في هذه اللحظة إلا «محب» كان يفكر في الحساب باعتباره المسئول المالي عن المغامرين.

عندما انتهى الطعام قال «تختخ»: عندما كنا نمُر بـ «بنها» في رحلاتنا السابقة لاحظت وجود كازينو جميل عند الكوبري الذي يمرُّ عليه القطار ... هيا نشرب شيئًا هناك ...

وقطعوا الطريق الموازي لشريط السكة الحديد حتى وصلوا قرب الكوبري، ثم انحرفوا يسارًا إلى الكازينو الذي كان مُكوَّنًا من طابقين ... وتمتد حوله حديقة جميلة واختاروا مائدة منعزلة بعيدًا عن الضوضاء ... ووضع «تختخ» كفَّيه خلف رأسه واضطجع إلى الخلف واستغرق في تفكيرٍ عميقٍ بعد أن أغلق عينيه.

ظلَّ الثلاثة صامتين فترة ... ثم قال «محب»: ماذا توقع من تطورات بعد العثور على الدراجة؟

فتح «تختخ» عينيه ونظر إلى «محب» نظرة شاردة، ثم قال: لا أدري بالضبط، ولكن كل شيء الآن متوقف على كلام «عقلة»!

عاطف: كانت صُدفة مدهشة هذه المشاجرة بين «صبحي» والولدين!

ابتسم «تختخ» قائلًا: إنها عبقرية يا بني!

عاطف: عبقرية!

تختخ: طبعًا كان يمكن أن ترى هذه المشاجرة دون أن تَلفِت نظرك مطلقًا!

عاطف: إنَّ أي مشاجرة في العالم تلفت نظري، حتى ولو كانت بين كلب وقطة! ووجود مشاجرة بين صبيٍّ في محل دراجات ... ونحن نبحث عن دراجة لا بد أن تلفت نظري وعقلي، وربما بطني أيضًا!

مُحب: البطن من اختصاص «تختخ»!

عاد الصمت يرين على المغامرين الثلاثة من جديد ... ولاحظ «محب» و«عاطف» أن «تختخ» عاد إلى إغماض عينَيه ... ثم سمعا صوت تنفُّسه المُنتظِم فعرَفا أنه استغرق في النوم فقال «عاطف» هامسًا: تعالَ نمشِ على النيل.

وافق «محب» فقد كان النيل يمتد بجوار الكازينو وقد ظلَّلته الأشجار، فقاما يسيران، كان الجو لطيفًا برغم الصيف ... فمَضَيا يسيران مبتعدين عن الكازينو حتى اختفى عن أنظارهما ... ثم جلسا على شاطئ النيل يتحدثان ... ومضت الساعات حتى هبط المساء ... وعادا إلى الكازينو، وكم كانت دهشتهما أن وجدا مكان «تختخ» خاليًا.

قال «محب»: أين ذهب؟

عاطف: لعله سبقنا إلى البوفيه.

وأسرعا الخُطى إلى «البوفيه» ... كانت المسافة تستغرق نحو عشر دقائق فلما وصلا إلى هناك، صعدا سلم المحطة مسرعَين، ثم نزلا السلم مرة أخرى، وقد ركبتهما الأفكار السوداء عن مصير «تختخ» ولكنهما فوجئا به يأتي مسرعًا ويكاد يصطدم بهما ...

صاح به «محب» أين كنت؟

تختخ: أين كنتما؟ لقد استيقظت من النوم فلم أجدكما بجواري، وسألت الجرسون فقال أنكما خرجتما ولا يَعرف اتجاهكما!

عاطف: لقد جلسنا على شاطئ النيل، وأنت ماذا فعلت؟

تختخ: أسرعت أراقب محل الدراجات لعلني أجدكما هناك.

عاطف: وهل وجدتنا؟

تختخ: لا داعي للهزار الآن يا «عاطف» ... هل جاء «عقلة»؟

مُحب: الحقيقة أننا لم نبحث عنه!

وصعد الثلاثة مرةً أخرى إلى «البوفيه» وجلسوا في انتظار «عقلة» ومر الوقت دون أن يظهر وكلما سألوا الجرسون قال: شيءٌ عجيبٌ، إنه لم يتأخر أبدًا عن ساعة الغروب!

هبط الظلام على المدينة، واقتربت الساعة من التاسعة دون أن يظهر «عقلة».

وبدا على «تختخ» الضيق وقال: لن نجلس هنا في انتظاره!

عاطف: وماذا نفعل؟

تختخ: سنبحث عنه ... إن هنا ثلاثة آخرين من ماسحي الأحذية ... ولا بد أن واحدًا منهم يعرف منزله.

ونادى «تختخ» على أحد الأولاد، وطلب منه أن يَمسح حذاءه، وبينما الولد منهمك في المسح سأله «تختخ» بلا اهتمام: لماذا لم يأتِ «عقلة» الليلة؟

رد «الولد»: لا أدري ربنا حدث شيء لوالدته العمياء!

تختخ: هل يعيش مع والدته؟

الولد: نعم ... إنه الوحيد الباقي من إخوته ... والده مُتوفًّى، وهو يُساعدها طوال النهار في بيع الخضار، ثم يسرح ليلًا لمسح الأحذية هنا!

تختخ: هل تَعرف منزله؟

الولد: طبعًا، إنه يسكن في «كفر مناقر» بحارة الجلاد.

تختخ: كفر مناقر! ... أين هذا المكان؟

الولد: في طرف «بنها» ... بعد المحطة بمسافة قصيرة!

تختخ: هل تستطيع أن تدلَّنا عليه؟

الولد: ولكن، ولكن يا أستاذ ... سأتعطَّل.

وبسرعة دسَّ «تختخ» في يد الولد عشرة قروش وسرعان ما كان يُغادر معهم «البوفيه» بعد أن ترك صندوق المسح بجوار أحد زملائه ... وبعد أن غادروا شارع المحطة بدأ ضوء الشوارع يقلُّ تدريجيًّا، ودخلوا في الحواري المُظلمة ... وساروا ... وفجأةً توقف «تختخ» وهمس في أُذن «محب»: إن هناك من يتبعنا!

مُحب: لقد أحسستُ بذلك منذ لحظات.

تختخ: لم أتصوَّر أن خلف الدراجة شيئًا بهذه الخطورة!

مُحب: ماذا سنفعل؟

تختخ: سنَمضي في طريقنا طبعًا!

سار الأربعة مرةً أخرى، وازدادت الحواري ظلامًا، وفجأة وهم يدخلون إحدى الحواري وجدوا ولدًا يصيح: سعد!

وتوقَّفَ ماسح الأحذية وعاد الصوت يقول: تعالَ بسرعة ... صندوقك سُرق! لم يكد الولد يَسمع هذه الكلمات حتى انطلق دون كلمة واحدة، وتلاشى في الظلام، ووقف الثلاثة ... وقال «محب»: من الواضح أنها خدعة حتى لا يذهب بنا إلى منزل «عقلة»!

تختخ: إننا نعرف العنوان وسوف نصل.

واختار «تختخ» أقرب منزل مُضاء ثم دقَّ الباب ... وظهر له رجل عجوز بعد لحظات فقال له «تختخ»: آسف يا عمي، ولكن أين حارة الجلاد؟

ردَّ العجوز وهو يشير بيده: ثالث حارة في جهة اليمين.

شكر «تختخ» الرجل وقال لـ «محب» و«عاطف»: بسرعة، فقد يسبقوننا إلى هناك!

وجرى الثلاثة حتى وصلوا إلى الحارة الثالثة ... كانت مُظلمة تمامًا، ومرة أخرى اختار «تختخ» أقرب باب مُضاء ثم دق الباب ... وظهر ولد صغير وقال على الفور: والدي ليس هنا!

قال «تختخ»: إننا نسأل عن منزل الست أم «عقلة».

خرج الولد من الباب وأشار إلى منزل صغير وقال: هناك ...

وأسرع الثلاثة ... ودق «تختخ» الباب وسرعان ما ظهر ولد لم يشكَّ «تختخ» عندما نظر إلى يدَيه أنه «عقلة» فقد كانت آثار طلاء الأحذية واضحة على يدَيْه ... ودون دعوة دخل «تختخ» وخلفه «محب» و«عاطف» المنزل وأغلق الباب وقال «تختخ»: اسمع يا «عقلة» لقد جئتُ أسألك عن الدراجة «الرالي» الزرقاء، إنها مسألة ...

وقبل أن يُتم «تختخ» جملته قال «عقلة»: دراجة الأستاذ «فريد»؟

ذُهل الأصدقاء الثلاثة وقال «تختخ»: هل تعرفه؟

عقلة: أعرفه؟! إنه صديقي!

نظر «تختخ» إلى «عقلة» كان ولدًا أسمر، قصير القامة، متين البُنيان، تبدو في عينيه لمعة ذكية، وفي وجهه علامات الطيبة والشجاعة، فقال «تختخ»: ونحن أصدقاء «فريد» وقد جئنا بحثًا عنه.

في تلك اللحظة سمع الأربعة صوت أقدام تقترب، وسمعوا خَبطًا قويًّا على الباب، فوضع «تختخ» يده على فم «عقلة» وقال: لا تَقُل لهم إننا هنا!

خرج «عقلة» يفتح الباب، ثم سمع المغامرون الثلاثة حوارًا يدور بين رجل خشن الصوت و«عقلة»، قال الرجل: هل حضَر إليك ثلاثة أولاد شكلهم نظيف؟

توتَّرت أعصاب الأصدقاء في انتظار رد «عقلة»، ولكن الولد الشجاع كان عند حسن ظنهم وقال: لا ... لم يحضر لي أحد حتى الآن ...

قال الرجل ذو الصوت الخشن: إذا حضروا لك فلا تَقُل لهم شيئًا عن الدراجة «الرالي» ... هل فهمت؟

لم يَسمع الأصدقاء ما قاله «عقلة» ولكنه عاد إليهم بعد أن أغلق الباب، وأشار إليهم أن يتبعوه ... كانوا يقفون في دهليز ضيق، فساروا خلفه، وصعدوا بضع درجات ثم وجدوا أنفسهم في غرفة صغيرة نظيفة، وعلى فراش في طرف الغرفة جلست سيدة سألت بمجرد دخولهم: من معك يا «عقلة»؟

رد «عقلة»: إنهم أصدقاء يا أمي.

الأم: مَن مِن أصدقائك؟! ... إنني أعرفهم جميعًا، ولكن دعني أحاول معرفتهم ... ومدت يدها إليهم فقال «عقلة»: سلموا!

ومد «محب» يده فسلم عليها ثم «عاطف» ثم «تختخ»، وقالت السيدة: إنني لا أعرفهم وهم ليسوا من أبناء الحتة ... وربما ليسوا من «بنها» كلها!

دُهش الأصدقاء وقال «عقلة»: إنَّهم أصدقاء «فريد»!

ردَّت السيدة في حنان: «فريد»؟!

عقلة: نعم، إنَّهم أصدقاء «فريد»، ولكنَّه ليس معهم!

كان المُغامرون الثلاثة مَذهُولين وهم يسمعون هذا الحوار، هذه السيدة تعرف «فريد» كيف؟!

أشار «عقلة» إلى كنَبة في صدر الحائط وقال: تفضَّلوا ...

جلس الأصدقاء الثلاثة ... وقالت السيدة: سأُعدُّ لكم الشاي!

قال «تختخ»: شكرًا لك يا عمَّة، لا داعي للشاي.

قالت السيدة وهي تقف وتتحسَّس ما حَولها: كيف؟ ... هذا عيب! ... إنَّكم ضيوفنا، مرحبًا بالضيوف ...

وشهد الأصدقاء لدَهشتِهم الشديدة السيدة تَسير بثَبات إلى جانب من الغُرفة فيه مائدة قديمة ... ثم تبدأ في إشعال وابور الجاز.

قال «عقلة»: مرحبًا بكم!

تختخ: أهلًا بك ... أنت تَعرف «فريد»؟

عقلة: نعم ... ماذا تُريدون منه؟

تختخ: نريد أن نُعيده إلى أسرته!

سكت «عقلة» قليلًا وتعلَّقت أنظار المغامرين الثلاثة بفمه في انتظار ما سيقوله ... هل سيدلهم على مكانه؟! هل يُخفي الحقيقة كما فعل «صبحي»؟

ونظر إليهم «عقلة» مرة أخرى ثم بدأ يتكلم ...

عقلة يتحدث

قال «عقلة»: لقد قضى «فريد» في هذه الغرفة ليلتَيْن!

وازدادت دهشة المغامرين الثلاثة، ولكن «تختخ» سارع يقول: أُفضِّل أن تقول لنا القصة كاملة ... أقصد أن تبدأ من أول لحظةٍ التقَيت فيها بـ «فريد».

فكَّر «عقلة» لحظات ثم قال: كان ذلك منذ ثلاثة شُهور تقريبًا ... أي في شهر فبراير وكانت ليلة مُمطرة، عندما شاهدتُ ولدًا يَجلس في «بوفيه» المحطة وحيدًا وقد اتَّسخ حذاؤه وسِرواله وهو يَتناول كوبًا من الشاي الساخن ... ويقضم «ساندوتشًا» ... اقتربت منه وعرضت عليه أن أمسح حذاءه فوافق، وجلست فنظفتُ أطراف السروال، والحذاء.

وسكت «عقلة» لحظات ثم قال: ولاحظتُ أنه متعب جدًّا ... والساعة قد اقتربت من العاشرة ليلًا، وأنا بحكم عملي أقابل كثيرًا من الغرباء المسافرين في المحطة، فلم ألتفت كثيرًا لوجود هذا الغريب في «البوفيه».

عندما انتهيت من تنظيف السروال والحذاء وبدأتُ أقوم، لاحظت أنه يُريد أن يتحدث معي، ولكنه مُتردِّد ... فقلت له: لم يبقَ من القطارات العائدة إلى القاهرة إلا قطار واحد سيَصِل بعد دقائق، هل أنت مسافر إلى القاهرة؟

ردَّ بأنه قادم من القاهرة على دراجة، أو قد قابل مصاعب كثيرة في الطريق نظرًا لاستمرار تساقط المطر والوحول التي غطت الطريق بين «القاهرة» و«بنها» ... وقد أدهشني هذا ... فسألته عن سبب حضوره بهذه الطريقة، ولكنه لم يُجب، وسألته عن المكان الذي سيقضي فيه ليلته، فقال أنه سيقضيها جالسًا في «البوفيه» وكان ذلك مُستحيلًا نظرًا للبرد الشديد في تلك الليلة، وعلامات الإجهاد الواضحة عليه.

وعرضت عليه أن يأتيَ لقضاء الليل عندي، ولكنه رفض ... كما رفض أيضًا الذهاب إلى فندق، وأصر على البقاء في «البوفيه» حتى الصباح، وظَلَلتُ أَعمل حتى قرب منتصف

الليل، ثم مررتُ به مرة أخرى وقال لي إنه سيخرج معي لإحضار دراجته من الخارج، فقد تركها بجوار المحطة بعد أن أغلق قفلها … خرجنا معًا … وحدث ما لم يكن متوقَّعًا، فقد اختفت الدراجة!

وسكت «عقلة» لحظات، وبدا على الأصدقاء الاهتمام الشديد، وقال «محب»: استمر!

قال «عقلة»: كانت لحظة مؤلمة جدًّا بالنسبة له، وبرغم أن المطر كان ما يزال يسقط ويبلل وجهَينا، فإنني متأكد أنه كان يبكي، وأن دموعه كانت أكثر من قطرات المطر.

وبدت ملامح الألم على وجه «عقلة» ثم استمر يقول: لم يكن هناك شخص واحد في تلك اللحظة، وعرضت عليه أن نذهب لإخطار الشرطة، ولكنه رفض تمامًا، ولا أدري لماذا رفض.

قال «تختخ»: نحن نعرف؛ فقد كان يخشى أن يُعيدَه رجال الشرطة إلى منزله …

عاد «عقلة» يقول: ومرة أخرى عرضت عليه أن يأتي معي إلى منزلي، ووافَق تحت إلحاحي، وجاء معي إلى هذه الغرفة التي نجلس فيها، وقضى الليلة عندي، وتحدثنا طويلًا وقلت له إنني سأحاول أن أعرف الذي سرق الدراجة.

ونادت أم «عقلة» ابنها فأسرع يأتي بأكواب الشاي، ووزعها على الأصدقاء، وقال «محب»: وبعدها؟

عقلة: وفي الصباح خرجت معه وظللنا نطوف بالشوارع على أمل أن نراها … ولكن لم نَصِل إلى شيء حتى هبط الظلام مرةً أخرى، وجاء لقضاء الليل عندي، وفي اليوم التالي استطعت بواسطة بعض الأولاد الذين أعرفهم من تتبُّع أثر الدراجة، وعلمتُ أن سارقها لصٌّ خطير يُدعى «طباظة» وهو رجل لا يتورع عن عمل أي شيء، ويقود عصابة قوية للسرقة، ومرةً أخرى عرضت على «فريد» أن نبلغ الشرطة ولكنه رفض، ورجاني ألا أذكر رجال الشرطة مرة أخرى، ثم طلب مني ورقًا وقلمًا وجلس فكتب رسالة، وذهبنا معًا لإرسالها واخترت صندوق البريد الذي في المحطة لإرسال الرسالة … وبينما نحن في المحطة بعد أن وضعنا الرسالة في صندوق البريد، إذا بي أشاهد اللص «طباظة» يركب أحد القطارات! وأشرت إليه وقلت لـ «فريد» إنه «طباظة» وهنا حدث شيء عجيب … لقد تركني «فريد» وانطلق مسرعًا وقفز في القطار الذي بدأ يتحرَّك.

وسكت «عقلة» لحظات وبدا عليه الضيق: ولم أستطع أن ألحق به؛ فقد انطلق القطار بسرعة قبل أن أقرر أن أتبع «فريد».

تختخ: كان القطار متجهًا إلى «القاهرة»؟

عقلة: لا ... كان القطار قادمًا من «القاهرة» في طريقه إلى «المنصورة» و«دمياط».

تختخ: وبعد ذلك؟

عقلة: كان «فريد» قد أعطاني «الكاميرا» لأحملها له حتى يُلقيَ الرسالة، وظلَّت «الكاميرا» معي حتى الآن ... وما زالت معي، وسأحضرها لكم!

تختخ: لا داعي لهذا الآن ... المهم، هل اتصل بك «فريد» بعد ذلك؟

عقلة: نعم ... أرسل لي خمس رسائل ... ولكنه لم يَذكر عنوانه مطلقًا.

تختخ: هل أستطيع الاطلاع على هذه الرسائل؟

عقلة: طبعًا!

وأحضر «عقلة» حقيبة صغيرة، فتحها فإذا هي حافلة بالكتب المدرسية، وسأله «عاطف»: هل تذهب إلى المدرسة يا «عقلة»؟

عقلة: نعم ... في الفترة المسائية ... ففي الصباح أساعد والدتي في بيع الخضراوات وفي المساء أذهب إلى المدرسة، وفي الليل أذهب لَمسحِ الأحذية!

وأخرج «عقلة» الرسائل ملفوفة في ورقة ومربوطة بدوبارة، وقدمها إلى «تختخ» الذي أمسكها باهتمام، وأخذ ينظر إلى الأختام التي عليها، ثم قال: رسالة واحدة من «دمياط» وأربع رسائل من «المنصورة»!

مُحب: آخر رسالة؟

فحص «تختخ» الرسائل بدقة ثم قال: من «المنصورة» من عشرين يومًا تقريبًا!

وبين رشفات الشاي اللذيذ الذي صنعته والدة «عقلة» أخذ «تختخ» يقرأ سريعًا الرسائل الخمس ... وكان «عاطف» و«محب» يُراقبانه ويلمحان ما يبدو على وجهه من انفعالات ... وكان من الواضح أنه منفعل جدًّا.

عندما انتهى «تختخ» من قراءة الخطابات قال بانفعال شديد: حكاية لا تُصدق! لقد انطلَق «فريد» وراء «طباظة» دون وعي، ودون أن يدري ماذا يفعل، وبدلًا من أن يستردَّ الدراجة كما كان يأمل، سرقته العصابة هو الآخر!

مُحب: سرقته؟

تختخ: ليس بمعنى السرقة بالضبط ... ولكنهم دبَّروا له كارثة لا يمكن الخروج منها.

عاطف: إنني لا أفهم شيئًا!

مُحب: من الأفضل أن تُطلعنا على الرسائل لنُكوِّن فكرة واضحة!

وأخذ «محب» رسالة، وعندما قرأها سلَّمها إلى «عاطف» وانهمك «تختخ» في الحديث مع «عقلة».

سأله «تختخ»: ألم تظهر الدراجة بعد ذلك؟

عقلة: لقد تبعت آثارها بعد سفر «فريد» واستطعت أن أعرف من «صبحي» أن «طباظة» باعها للأسطى كرم الذي يَعمل عنده «صبحي»، وقد دهنها بلونٍ آخر واستخدمها للإيجار في محله.

تختخ: هذا يوضح خوف «صبحي» من أن يتحدَّث عن الدراجة ... ولكن لماذا لم تُبلغ الشرطة بعد ذلك؟

عقلة: وفاءً بوعدي لـ «فريد»، لقد طلَب منِّي عدم ذكر أي شيء لرجال الشرطة وقد وفَّيتُ بوعدي.

تختخ: ألم يظهر «طباظة» بعد ذلك؟

عقلة: إنه يظهر ويختفي دون أن يعرف أحد، ويغير ملابسه وأماكن إقامته.

تختخ: هل يُطارد رجال الشرطة «طباظة»؟

عقلة: لا ... لقد كان مقبوضًا عليه، وعندما أُفرج عنه افتتح محلًّا لبيع قطع غيار السيارات، ولكن هذا المحل ليس إلا ستارًا يُدير من خلفه عصابتَه ... وهو لا يرتكب السرقات بنفسه، إن أعوانه من الرجال والصِّبيان يقومون بهذا!

تختخ: صبيان؟

عقلة: نعم، إنهم يَسرقون قطع الغيار من السيارات، وينشلون في القطارات المزدحمة، وأشياء أُخرى كثيرة، ولا بدَّ أن أحدهم هو الذي سرق الدراجة.

تختخ: ولكنها كانت مُقفلة!

ابتسم «عقلة» لأول مرة قائلًا: إنهم يفتحون أحدث أنواع السيارات ... فهل يعجزون عن فتح دراجة؟!

نظر «تختخ» إلى ساعته وكانت قد تجاوزت مُنتصَف الليل بقليل، وكان «محب» و«عاطف» قد انتهيا من قراءة الرسائل الخمس فقال «تختخ» وهو يقف: شكرًا لك يا «عقلة» إنك صديق كريم وشجاع.

عقلة: إلى أين تذهبون؟

تختخ: إلى فندق لقضاء الليل، وسنُسافر غدًا صباحًا إلى المنصورة!

عقلة: لا تذهبوا إلى أيِّ فندق ... إن عصابة «طباظة» قد تكون في انتظاركم بعد أن عرفوا أنكم تبحثُون عن الدراجة، وفي الوقت نفسه عندي متَّسع لكم فنحن في الصيف، وأيُّ مكان يصلح للنوم!

مُحب: شُكرًا لك، ولكن …

وسمعوا صوت السيدة تقول: مرحبًا بكم عندنا، سننام أنا و«عقلة» في غرفة الخضار وهناك قش كثير نظيف يَصلح للنوم، وسنترك لكم الغرفة والسرير والكنبة يكفيان لنومكم.

وقبل أن يعترض المغامرون الثلاثة مرةً أخرى … انسحبت السيدة إلى غرفة الخضار الملحقة بالتي يجلسون فيها … ولاحظ الأصدقاء أنها تركت لهم عشاءً مكونًا من الجُبن والبطيخ والبيض … وقال «عقلة»: لقمة معًا، حتى تكون قد أكلنا مع بعضنا عيشًا وملحًا.

تأثر المغامرون الثلاثة تأثُّرًا شديدًا بكرم الضيافة، وجلسوا يتناولون عشاءهم، ودون تردد قال «محب»: إنه أشهى طعام تناولته في حياتي!

واحمرَّ وجه «عقلة» لهذا الإطراء … وبعد الانتهاء من العشاء أسرع «عقلة» إلى غرفة الخضار ولكن «تختخ» قال له: أرجو أن تَنتظِر، فسوف نشترك معًا في مناقشة ما سنفعله، وسكت «تختخ» لحظات ثم قال: من الواضح أن عصابة «طباظة» كانت تُراقب «فريد» بعد أن سرقوا دراجته، ولما لم يُبلغ الشرطة أدركوا أنه لسببٍ ما لا يريد أن يظهر أمام رجال الشرطة … وهكذا … كما يقول في رسائله دسوا عليه شخصًا في القطار تظاهر بالطيبة أمامه والرغبة في المساعدة، وصدَّقه «فريد» وروى له قصة الدراجة وما عرفه عن عصابة «طباظة»، وهكذا سافر «فريد» إلى دمياط مع الرجل، وكان «طباظة» في القطار نفسه.

وتناول «تختخ» قطعة من البطيخ ثم ازدردها في استمتاع وقال: وفي «دمياط» استطاعت العصابة أن تُورِّطه في تهمة لا ندري ما هي؛ فهو لم يفسرها، ولكن يتضح من رسائله أنه تعس وبائس.

قال «عقلة» مُعلقًا: وهذا سبب ضيقي الشديد ورغبتي في معاونتكم.

ومضى «تختخ» يقول: ومن رسالته الأخيرة يتضح أنه يحاول إنقاذ نفسه، ولا يستطيع بسبب الورطة التي وقع فيها، ولهذا سافر إلى «المنصورة»، ولكن ألم تُلاحظوا شيئًا على الرسائل؟!

عقلة: أي ملاحظات؟

مُحب: لاحظت أن الرسائل الأخيرة فيها آثار اتِّساخ، مثل الزيت أو الشحم!

تختخ: تمامًا، إنَّ «فريد» يَشتغِل في مكان به شحم وزيوت. فإذا عدنا إلى هواياته، فمعنى ذلك أنه يعمل في ورشة لإصلاح السيارات.

عقلة: متى تُسافرون؟ إنني أريد أن أسافر معكم!

تختخ: إنَّ هذا يَقتضي وضع خطة … فقد نكون الآن مُراقَبين من العصابة.

حديث في الشارع

كانت خطة «تختخ» التي شرحها قبل أن يناموا بسيطةً، مَطلوب ملابس متَّسخة، قال «عقلة» إنه يُمكن الحصول عليها من تاجر ملابس مُستعمَلة يَسكُن بجوارهم، ثم يخرجون فُرادى، كل واحد وحده ... ويَركبون وسائل مواصلات مُختلفة، على أن يَلتقُوا جميعًا على رصيف محطة «المنصورة» بين التاسعة والتاسعة والنصف.

وفي الخامسة صباحًا أيقظتهم أم «عقلة» وأعدَّت لهم الإفطار والشاي، وساعدها «عقلة» كالمعتاد في إخراج الخضار إلى السوق، ثم عاد ومعه الملابس المُستعمَلة وسرعان ما خرج «محب» أولًا، وبعد ربع ساعة «عاطف»، وبعد ربع ساعة أخرى «تختخ» ثم تبعهم «عقلة»، ركب «محب» أول قطار غادر «بنها»، وركب «عاطف» الأتوبيس إلى «طنطا» على أن يُغيِّر طريقه بعد ذلك إلى «المنصورة»، وركب «تختخ» تاكسيًا بالنفر، وركب «عقلة» القطار التالي إلى «المنصورة».

قبل التاسعة كان الأربعة قد التقَوا على رصيف محطة «المنصورة»، ثم نزلوا في ميدان المحطة المُزدحم، ولم يكن من يراهم يمكن أن يرى فيهم إلَّا أربعة من المشردين يبحثون عن لقمة يأكلونها.

كان ميدان المحطة مزدحمًا بسيارات الأجرة، فاتجه «تختخ» إلى أقرب سيارة وقد وضع بين أسنانه قطعة من القماش يلوكها بين أسنانه كأيِّ مُتشرِّد حقيقي، وشاهد ولدًا يقف بجوار السيارة يمسحها بعناية، فوضع يده على كتفه وتوقَّفَ الولد عن العمل ونظر إليه قائلًا: كفر الشيخ؟

رد «تختخ»: لا ... إننا نسأل عن ورشة الأسطى «عجب».

زوى الولد ما بين حاجبيه وقال: «عجب» «عجب» ... لا أعرف ورشة في «المنصورة» بهذا الاسم!

قال «تختخ» بثبات وهو يعرف جيدًا أنه لا «عجب» ولا غيره في «المنصورة»: لقد قالُوا لي إنها هنا قُرب المحطة!

ردَّ الولد: لا أظن! إنني أعرف الوِرَش التي في المنطقة كلها، فهنا في شارع سينما «ركس» القديمة تُوجد أقرب مجموعة وِرَش وليس فيها ورشة بهذا الاسم، وفي خلف شارع «الثورة» في منطقة «الحسينية» مجموعة أخرى … وفي نهاية شارع «العباسي» مجموعة ثالثة، وهذه أشهر الورش في «المنصورة»، وليس بينها جميعًا ورشة باسم «عجب».

شكر «تختخ» الولد والتفت إلى الأصدقاء … وكانوا جميعًا يعرفون أنه قام بخدعة صغيرة يعرفونها جميعًا، السؤال عن غير الموجود للحصول على الموجود، وقد حصلوا على أماكن تجمعات الورش في «المنصورة».

قال «تختخ»: «عقلة» مع «عاطف» عند سينما ركس … «محب» عند مجموعة الورش خلف شارع الثورة … أنا سأذهب إلى نهاية شارع «العباسي»، خذوا حذركم وإذا وجدتم «فريد» فلا تتحدثوا إليه مطلقًا … اعرفوا المكان فقط، وسنجتمع مرة أخرى.

ونظر «تختخ» حوله فأشار إلى مقهًى صغير في الميدان، عند هذا المقهى في الثانية بعد الظهر ولا يتأخَّر أحد.

اتجه الأصدقاء كلٌّ في طريقه، سار «محب» في شارع الثورة وهو يُكرِّر في ذهنه كلمة «الحسينية» حتى لا ينسى، وعندما وصل إلى منتصف الشارع سأل أحد المارة عن مكان «الحسينية» فأشار الرجل إلى أحد الشوارع الجانبية وقال: كل هذه المنطقة حي «الحسينية».

انحدر «محب» في الشارع الجانبي، كان يستخدم حواسه كلها في البحث عن الورش … فهو يستمع إلى كل ضوضاء … ويشم رائحة البنزين والشحم … وينظر إلى كل محل، ولم يَطُل به البحث كثيرًا؛ فقد قادته أذناه إلى ضجة تصدُر من طَرْقِ حديد، وسرعان ما وجد نفسه أمام مجموعة متتالية من ورش إصلاح وسمكرة ودهان السيارات … ودقَّ قلب «محب» هل يعثر على الولد الصغير الهارب؟! إنه يتمنى أن يرده إلى أسرته المفجوعة … ولكن هل يُوفق؟

أما «تختخ» فقد قطع شارع الثورة كله وسأل أحد المارة عن شارع «العباسي» فقال له إنه يتقاطع مع شارع «الثورة» في نهايته، وصل إلى هناك … وقرأ اسم لوكاندة «القاهرة» على لافتة، ثم شاهد باب مطعم أنيق، وبجواره عُلقت لافتة: «شارع العباسي» … كان شارعًا تجاريًّا مزدحمًا … أغلب المحلات التي فيه تبيع البقالة وأصناف الحبوب … وبعضُها يَبيع

القطن والأثاث، ولم تكن هناك ورشة واحدة، وظلَّ يسير حتى وصل إلى نهاية الشارع، وسرعان ما لمح ما كان يبحث عنه ... سلسلة من السيارات تقف للإصلاح.

وفي تلك الأثناء كان «عقلة» و«عاطف» قد دخلا في شارع سينما «ركس» وأخذا يَسألان هنا وهناك حتى وصلا إلى منطقة واسعة على جانبَيها مجموعة من الورش ومن محلات قطع الغيار.

عندما اجتمع الأصدقاء على المقهى في الثانية، لم يكن عند أي واحد منهم شيء يستحق الذكر ... كانوا جميعًا مُتعبين ... فقد مشوا طويلًا ... ولكن دون أن يصلوا إلى معلومة واحدة ذات قيمة، وقد اتَّضح هذا كله منذ اللحظة التي نظر كل منهم في وجه الآخر. كانت علامات الإخفاق واضحة عليهم جميعًا، وعندما ارتمى كل منهم على مقعده لم ينطق أحد بحرف واحد.

فجأة قال «تختخ»: تعالوا نتغدى!

نظر إليه «عاطف» ثم قال: لعلَّك لم تكن تبحث عن «فريد» بل تبحث عن أحسن مطاعم الكباب والكفتة في المدينة.

قال «محب» معلقًا: لم يَعُد معنا ما يكفي الكباب والكفتة ... ولا حتى ربع كيلو، سنكون ضيوفًا على محلات الفول والطعمية بقية الرحلة التي لا نعرف متى ستنتهي.

قال «تختخ»: فول بالزيت الحار!

مُحب: بالزيت الفرنساوي!

تختخ: أمري إلى الله ... هيا بنا!

ودخلوا مطعمًا قريبًا ... وبعد أن أكل «تختخ» رغيفًا ببعض قطع المخلل بدأت ملامح وجهه تلين وقال: لا تيئسوا ... سنعثر عليه!

عاطف: أشكُّ كثيرًا في استنتاجاتك حول أصابعه الملوَّثة على الرسالة، ربما ليسَت بسبب عملِه في ورشة سيارات.

تختخ: انتظر حتى نَتناول طبق الفول!

عاطف: هل طبق الفول هو الذي سيحلُّ المشكلة؟

تختخ: مَن يدري؟ بركات الفول!

ولم يكد «تختخ» ينطق بهذه الجملة حتى صاح «عقلة» الذي كان يجلس في مواجهة الباب: «طباظة»!

وانطلق هو و«عاطف» الذي كان يجلس بجواره خارجَين. وبعدها خرج «تختخ» وبقي «محب» ليدفع الحساب، وأشار «عقلة» إلى رجل طويل القامة يرتدي الملابس البلدية، ويُمسك بيده عصا … يسير وهو يتحدث مع شخص آخر أقصر منه.

همس «عقلة»: هذا هو «طباظة» … الرجل الطويل!

كان «تختخ» جائعًا، فقد غادر المطعم دون أن يتناول طبق الفول … ولكنه بعد لحظات نسي الفول والزيت … وتنبهت فيه كل حواس المغامر … فقد وضعت الصدفة في طريقه الرجل الوحيد الذي يمكن أن يدله على مكان «فريد» في هذه المدينة الواسعة.

كان «طباظة» يَمشِي واثقًا من نفسه، وأحيانًا يهز عصاه دون الاهتمام بما يمكن أن تفعله بالمارة … وظل يمشي وهو يُحدث الرجل القصير الذي بجواره، وقال «تختخ»: لنفترق … واجتماعنا إذا حدث شيء عند المقهى الذي كنا نجلس فيه.

وافترقوا … بقي «تختخ» و«محب» على الرصيف الذي يسير عليه «طباظة» وانتقل «عقلة» و«عاطف» إلى الرصيف الآخر حتى لا يقع بصرُ «طباظة» على «عقلة»؛ فمن المؤكد أنه يعرفه، وقد يلفت نظره وجوده في «المنصورة».

بعد أن وصل «طباظة» إلى مُنتصَف شارع «الثورة»، انحرف يمينًا، ثم دخل عمارة كبيرة … وتوقف الأصدقاء بعيدًا، ثم أشار «تختخ» لهم فتجمعوا بعيدًا عن العمارة بحيث تبقى تحت أنظارهم.

قال «تختخ»: إنها فرصتنا الوحيدة للوصول إلى «فريد»، لن نتركه أبدًا يغيب عن أبصارنا.

مُحب: وما هي خطتك؟

تختخ: سنقف بعيدًا عن العمارة، وسنتفرَّق على مسافات متساوية، فإذا خرج فسنمر به أنا ثم «محب» ثم «عاطف» ونحاول أن نستمع إلى الحديث الذي يدور بينه وبين الرجل الذي معه، وسيبقى «عقلة» دائمًا بعيدًا عنه حتى لا يراه.

مضت نصْف ساعة تقريبًا … ثم شاهد الأصدقاء «طباظة» ينزل ومعه شخص آخر … أخذ يمشي في شارع الثورة مرة أخرى … وتقدم «تختخ» حتى أصبح يسير في محاذاة الرجلين وسمع «طباظة» يقول: سننقل البضاعة كلها على «تورييل»، وفي الليل سوف تقوم السيارة بشحنها كلها إلى «دمياط»!

وردَّ الرجل الآخر بحديث لم يسمعه «تختخ»؛ فقد انحشر أحد المارة بينه وبين الرجلَين، وانحرف «تختخ» ووقف أمام أحد المحلات متظاهرًا أنه يتفرج على المعروضات،

وتقدم «محب» فحل محله وسمع «طباظة» يقول: لا بد من التخلص من هذا الولد الليلة، لقد أصبح يعرف الكثير عنَّا، فليُشحن مع البضاعة.

قال الآخر: ولكنه لا يستطيع خيانتنا ... إنه كما يتخيَّل مُطارَد من رجال الشرطة ... رد «طباظة» بغلظة: لا دخل لك في هذه الترتيبات ... سننقلُه إلى «دمياط» وسيقوم «أبو الشام» هناك بالتصرف معه.

وتوقف «طباظة» فجأة عند محطة بنزين السيارات التي تقع في نهاية شارع «الثورة» وأسرع أحد الرجال يَفتح له باب السيارة. حفظ «محب» على الفور ماركتها ورقمها ولونها وانطلقت السيارة مسرعة متَّجهة إلى الكورنيش.

وتوقف «محب» وانضم إليه بقية الأصدقاء، وروى لهم ما سمعه، وبالإضافة إلى ما سمعه «تختخ» أصبحت لديهم معلومات لا بأس بها عن مكان «طباظة».

قال «عاطف»: ماذا يعني بـ «توريبل» ... إنه اسم أجنبي غريب!

رد «تختخ»: سنعرف معنى «توريبل» فورًا ... لعله اسم عمارة معروفة في «المنصورة».

كانوا أمام محل حلواني، وبجواره مطعم صغير، ونظر «تختخ» إلى «محب» قائلًا: أظنُّك لا تمانع أن نتغدى الآن ... فأمامنا عمل كثير!

هزَّ «محب» رأسه فدفع الأربعة إلى المطعم، وعندما حضر الجرسون أخرج «تختخ» من جيبه قرشًا أعطاه إيَّاه قائلًا: أريد بعض ماء الطرشي في كوب.

ابتسم الجرسون الصغير وهو يَمسَح المائدة سائلًا عن طلباتهم، فقال «تختخ»: بالمناسبة هل «توريبل» بعيدة عن هنا؟

رد الجرسون: أي مكان في «توريبل»؟

تختخ: هل هي كبيرة «توريبل» هذه؟

الجرسون: إنه أجمل حيٍّ في «المنصورة»!

نظر الأصدقاء بعضُهم إلى بعض ... إنها ليست عمارة ... إنه حي بأكمله ... ولكن «تختخ» لم يقم ولم يتحرك ... لقد قرَّر أن يتغدَّى أولًا ... وسأل الجرسون: وأين «توريبل» هذا؟

رد الجرسون: عند نهاية الكورنيش قرب الكوبري القديم.

قال «تختخ»: هات إذن أربعة فول بالزيت، وطرشي، وعيش ساخن، وبعدها سنعرف ما هي حكاية «توريبل» هذه.

معركة الليل

بعد الغداء، وبعد مجموعة أخرى من الأسئلة. أخذ المُغامرون الثلاثة ومعهم «عقلة» طريقهم إلى حيٍّ «توريبل» وهو حيٌّ أنيق يَحفُل بالفيلات ذات الحدائق المزدهرة، ويحدُّه من أحد جوانبه نهر النيل فرع «دمياط»، قال «تختخ» موجهًا حديثه إلى «محب»: والآن كرِّر لنا وصف السيارة التي ركبها «طباظة»!

قال «محب»: سيارة ماركة «بيجو» بيضاء، أرقامها «٥٥٣٥» دقهلية!

عاطف: أي طراز من البيجو؟

مُحب: «بيجو ٥٠٤»!

تختخ: خطَّتنا البحث عن هذه السيارة ... أغلب الظن أن «طباظة» يسكن قريبًا من البضاعة التي أشار إليها في حديثه مع الرجل، ولعلَّنا بالعثور على مكان «طباظة» نعثر على «فريد».

ونظر «تختخ» إلى ساعته وقال: سنلتقي عند الكوبري في السابعة مساءً.

وتفرق الأربعة داخل «توريبل» الهادئ، ومضى كلٌّ منهم ينظر إلى السيارات المارة أو الواقفة أمام الأبواب. كان الجو حارًّا وقد خلَتِ الشوارع من المارة، إلا قلة قليلة، وكانت أغلب السيارات تقف أمام أبواب الفيلات، أو داخل الجراجات، وكان على المُغامرين أن يغامروا أحيانًا بالاقتراب من هذه الجراجات. ولكن بحذر شديد، فأيُّ خطأ قد يُؤدي إلى كارثة.

وكان الحظ من نصيب «عاطف»؛ فقد بدأ السير في شارع عريض يشق قلب الحيِّ الهادئ وكان أمامه عشرات الشوارع الفرعية الصغيرة، ولكنه فضَّل السير إلى نهاية الشارع قبل أن يدخل الشوارع الجانبية، وفي نهاية الشارع قرب المزارع الواسعة شاهد فيلا ضخمة، لفت نظره وجود بعض الكلاب الشرسة تحميها. ودار «عاطف» حول الفيلا بعيدًا جدًّا ...

وفي الخلف شاهد ما كان يبحث عنه، السيارة البيجو البيضاء تقف أمام جراج ضخم يُشبه المخزن، وكان باب الجراج مواربًا، واقترب «عاطف» أكثر ونظر داخله، ولكن الجراج كان مظلمًا فلم يستطع مع ضوء الشمس الذي يقف فيه أن يرى شيئًا، واقترب أكثر ودخل من باب الجراج، وقبل أن يُدرك ما حدث، وجد يدًا تمتد إلى وجهه في لكمة هائلة سقط على إثرها أرضًا ثم سمع صوتًا غاضبًا يقول: ماذا تفعل هنا أيها المتشرد؟

وظهر رجل «غضب» يرتدي ثياب ميكانيكي ملوَّثة بالشحم والزيت، وكان بيده مفتاح ضخم رفعه في وجه «عاطف» الذي فر هاربًا.

اختار «عاطف» شجرة بعيدة من باب الجراج ... ووقف يُراقب ما يحدث، كان هناك أشخاص يترددون على الجراج بين فترة وأخرى، وبعض السيارات تأتي وتذهب، وظهر «طباظة» مرةً واحدةً قرب الساعة السادسة، وغاب في الداخل نحو نصف ساعة ثم خرج وركب سيارته وانطلق.

غادر «عاطف» مكانه مُسرعًا ... وسار بين المزارع حتى الكورنيش ... ثم أسرع للقاء بقية المغامرين عند الكوبري ... ووجدهم قد سبقوه إلى هناك وسرعان ما كان يروي لهم ما شاهده.

قال مُحب: ألم تر «فريد» مُطلقًا؟

عاطف: لا ...

تختخ: ولكني متأكد أنه موجود في مكان ما من هذه الفيلا أو الجراج ... فحديث «طباظة» عن نقله مع البضاعة يعني أنه في مكان قريب ... ولعله يعمل في الجراج، بدليل بصماته المتسخة على الرسائل التي أرسلها.

تدخَّل «عقلة» في الحديث قائلًا: وماذا تفعلون الآن؟

تختخ: أولًا سنَدرُس المكان فإذا كان في إمكاننا دخول الجراج وإنقاذ «فريد» فعلنا ذلك، وإذا استطعنا أن نوصل له رسالة نخبره فيها أننا نريد أن نساعده فعلنا ... أو نترك خطتنا للظروف.

وساروا على كورنيش النيل، والشمس تميل للمغيب، وكانت خطة «تختخ» في المراقبة تستدعي انتظار الظلام، فالتفُّوا بجوار بائع ترمس، وأخرج «محب» بعض القروش واشترى لكلٍّ منهم قرطاسًا ... وفجأة قال «عقلة»: لماذا لا نُبلغ الشرطة؟

ردَّ «تختخ»: لقد فكرت في هذا ... ولكن نبلغها بأي شيء؟ إننا لا نعرف ما هي البضاعة التي سيُرسلها «طباظة» وعصابته إلى «دمياط» ... ولعلَّها بضاعة قانونية ...

ثانيًا نحن لا نَعرِف التُّهمة الموجَّهة إلى «فريد» والتي استطاعت العصابة أن تضطرَّه للبقاء معها حتى الآن ... ولعلَّها تُهمة حقيقية فنضع الولد في موقفٍ حرج.

عقلة: إنني أستبعد أن تكون تهمة حقيقية، إن «فريد» لا يمكنه أن يرتكب جريمة من أي نوع.

مُحب: مَن يدري! لعلهم اضطرُّوه لارتكاب جريمة ما لا نعرفها، إن الأفضل هو مقابلة «فريد» والتفاهم معه!

هبط الظلام على «المنصورة» وبدأ الأصدقاء سيرهم، ووصلوا عن طريق المزارع إلى الفيلا الكبيرة، والجراج الضخم المُلحَق بها، ولم يكد «تختخ» يرى الجراج حتى قال في اهتمام: هل تُلاحِظُون هذه الأشجار؟

عاطف: المحيطة بالجراج؟

تختخ: طبعًا ... ألم تَطرأ لكم فكرة؟

مُحب: تسلُّق الأشجار إلى سطح الجراج!

تختخ: لا ... تَسلُّق الأشجار عندما تأتي سيارة النقل، ثمَّ الهبوط عليها!

عقلة: كلنا؟

تختخ: لا ... أنا و«محب»، وستَبقيان هنا أنت و«عاطف»، فإذا لم نَعُد حتى الصباح فعليكما إخطار الشرطة في «المنصورة»، ثمَّ يتصل «عاطف» ب «نوسة» و«لوزة» في المعادي لإخطار المفتش سامي!

عاطف: أين ننتظر وفي أي ساعة؟

تختخ: ستبقيان هنا بين المزارع لمُراقبة ما يمكن أن يدور في الفيلا والجراج وموعدكما الساعة الثامنة صباحًا ... إذا لم نعد حتى تلك الساعة فتصرَّف فورًا!

ازداد الظلام كثافة ومضت الساعات حتى انتصف الليل، وفجأةً لمَعَت أضواء سيارة قادمة في اتجاه «الجراج»، كانت سيارة نقل أثاث، وسرعان ما توقفت أمام «الجراج» وأطفأت أنوارها.

قال تختخ: سنَنتظر ونرى!

فُتح باب «الجراج» ... وبدأ عدد من الرجال ينقلون إلى صندوق السيارة مجموعة من الأكياس والحقائب، ثم بعدها بدءوا في نقل بعض الأثاث إليها.

قال «تختخ»: البضاعة المقصودة في الطرود والحقائب، أما الأثاث فلِلتَّعمية ... إن ... ولكن قبل أن يتم جملته، شاهَدُوا رجلًا ضخمًا يقود ولدًا صغيرًا مُمزَّق الثياب إلى السيارة ويدفعه داخلها، ويغلق الباب وقال «عقلة» في انفعال: «فريد»!

أشار «تختخ» إلى «محب» فانطلَقا في الظلام، وكانت السيارة قد أغلقت بابها ووقف الرجال يتحدَّثون لحظات ثم دخلوا الفيلا ومعهم السائق ... وجاءت فرصة «تختخ» و«محب» فتسلَّقا الشجرة المُرتفِعة كالقرود، ثم هبطا برفق على ظهر السيارة، وانبطحا بهدوء على ظهرها.

وشاهد «عاطف» و«عقلة» من مخبئهما وسط المزارع ما يحدث. وشاهَدا رجليْن يخرجان من الفيلا ويَركبان السيارة، ثم تحركت السيارة متَّخذة طريق المزارع المظلم دون أن ينتبه أحد إلى الولدَين اللذَين ناما على ظهرها.

سارت السيارة مسرعة، مُبتعدة عن الطرقات المطروقة، وكان واضحًا أنها تختار الطرق المظلمة حتى تغادر «المنصورة» ... وكان ذلك لحسن حظِّ المغامرين.

بعد رُبع ساعة غادرت السيارة «المنصورة» وبدأت سيرها على طريق «المنصورة–دمياط» وهمس «محب» لـ «تختخ»: ماذا نفعل؟

تختخ: سأُحاول فتح باب الصندوق الخلفي.

مُحب: كيف؟

تختخ: ألم تلاحظ ... إنه مُغلَق برافعة تبدأ من أعلى الصندوق إلى أسفله!

مُحب: إنَّ هذا مستحيل!

تختخ: سأُحاول.

وزحف «تختخ» تدريجيًّا حتى أصبح عند نهاية الصندوق، ثم مدَّ يده وأخذ يتحسس الرافعة، وطرفها العلوي يدخل في حلقة مُثبتة بخشب الصندوق. وعرف أن فتح الصندوق من هذه الناحية مستحيل ... ولا بد من فتحه من الطرف الأسفل ...

ولم يكن وزن «تختخ» يسمح له بالانزلاق على حافة الصندوق، فعاد زاحفًا إلى «محب» وشرح له المطلوب، وسرعان ما كان «محب» بجسده الرياضي القوي ينحدر كأنه عنكبوت على باب الصندوق الخلفي، وقد اعتمد بقدمَيه على حافة الصندوق، وتدلَّى إلى أسفل، وكان «تختخ» يُمسك بقدمَيه حتى لا يقع.

كانت السيارة تسير مسرعة، لا تهتم بالمطبات ولا بالأحجار، وكان وجه «محب» يرتطم بخشب الصندوق كلما نزلت السيارة في مطب حتى أحس أنه سيفقد وعيه، ولكنه ظلَّ يتحسَّس طرف الرافعة حتى وجدها ... كان الطرف يدخل في حلقة، وثُبِّت بمسمارٍ كبيرٍ يدخل في الحلقة، وأخذ يحاول، ولكن المسمار كان محشورًا في الحلقة، لم ييئس «محب» برغم إحساسه بالدماء تندفع إلى رأسه وهو مُدلًّى مِن قدمَيه والخبط في رأسه يَزداد في كلِّ

مطب. ولكنه ظلَّ يجذب المسمار حتى انتزعه، ودارت الرافعة، وحرَّك «محب» قدمه، فأخذ «تختخ» يَجذبه تدريجيًّا حتى صعد إلى فوق …

قال «محب» بإعياء: الباب مفتوح الآن!

تختخ: سأَعتمِد على قوَّتك مرةً أخرى … أريدك أن تفتح الباب ثم تتدلَّى وتقذف بنفسك داخل الصندوق!

مُحب: سأرتاح قليلًا … فإنَّني مُتعَب جدًّا!

وربض الصديقان فوق السيارة … وأخذ «محب» يهز رأسه حتى استعاد وعيه، ثم تدلى مرة أخرى وفتح الباب … ولكن حدث مع لم يكن مُتوقَّعًا … فقد انفتح الباب بعنف وخبط جانب السيارة بشدة … وخفضت السيارة من سرعتها على الفور … ونزَلَ الرجل الذي كان يجلس بجوار السائق ليرى ما حدث، ودار حول السيارة ووقف أمام الباب مدهوشًا، فقفز عليه «محب» وسقط على الأرض وارتطمَ رأسه بها … وغاب عن وعيه ونزل السائق الذي سمع صوت الارتطام وشَاهَد «محب» ولكن قبل أن يرفع يده بالمفتاح الضخم الذي كان يحمله، قفز «تختخ» بكل ثقله عليه، وكان السائق قويًّا، فاشتبكا في صراع عنيف … أنهاه «محب» عندما عثر على المفتاح في الظلام وهبط به في ضربة صاعقة على رأس السائق.

صاح «تختخ» وهو يمد رأسه داخل السيارة: «فريد»!

لم يرَ شيئًا، ولكن سمع حركة، وأدرك أن «فريد» موثوق القدمين واليدين ومكمَّم الفم، فقفز إلى الداخل، وعلى ضوء بطارية «محب» فكَّ وثاقه.

نزَل «فريد» في الظلام ينظر إلى «محب» و«تختخ» في دهشة فقال «تختخ»: إننا صديقان!

فريد: ماذا تُريدان مني؟

تختخ: ستعود معنا إلى «المعادي».

فريد: «المعادي»؟!

تختخ: نعم … نحن نعرف والدَيكَ وشقيقتك «ليلى».

مُحب: هيا بسرعة سأفرغ العجلات الأربع من الهواء!

وبعد دقائق قليلة، كان الثلاثة ينطلقون في الظلام عائدين إلى «المنصورة»، وكان «فريد» يسأل عن أسرته و«تختخ» يُجيب.

وبعد أن جروا فترة، شاهدوا ضوء سيارة نقل في طريقها إلى «المنصورة»، وسرعان ما تفاهموا مع السائق، وقفز الثلاثة إلى السيارة وانطلقت بهم إلى «المنصورة».

في الساعة السابعة صباحًا كانت سيارة أجرة «المنصورة» تقترب من فيلا أسرة «فريد» وفيها خمسة أولاد في ملابس مُشرَّدين ... كانوا «تختخ» و«عاطف» و«محب» و«عقلة» و«فريد»، وكانت «ليلى» تقف بين أزهارها ترويها، عندما شاهدت المُشرَّدِين الخمسة يدخلون الحديقة لم تعرفهم للوهلة الأولى، ولكن عندما اقتربوا منها سقط خرطوم المياه من يدها ثم صاحت في ذهول: «فريد» ... «فريد»!

وعلى صوتها ظهر والدها ووالدتها في شرفة الفيلا، ثم اختفيا وظهرا ينزلان السلم مُسرعَين، وألقى «فريد» بنفسِه بين ذراعَي والدتِه التي انخرطت في البكاء.

قال «محب» لوالد «فريد»: أرجو أن تدفع للسائق أجرته فلم يبقَ معنا نقود.

ثم خرج المغامرون الثلاثة عائدين إلى منازلهم بعد أن تمسَّك «فريد» ببقاء «عقلة» معه.

في هذا المساء السعيد، اجتمع المغامرون الخمسة على مائدة حافلة بالطعام في منزل أسرة «فريد» وروى «فريد» ما حدث له بعد أن ركب القطار من «بنها»؛ فقد تعرف برجل وعده بمساعدته، وعندما توجها إلى «دمياط» طلب منه الرجل أن يحمل له حقيبته، وفجأة هجم رجال الشرطة ... واتضح أنها محشوَّة «مخدرات». وقال «فريد»: واستطعت الفرار أنا والرجل الذي أكَّد لي أن الشرطة تبحث عنِّي ... وهكذا أصبحتُ أسير عصابة «طباظة» واختفيت في الجراج، أعمل في إصلاح السيارات ولا أستطيع مغادرته إلا ساعة واحدة كل يوم لألقي بالرسائل التي كنت أرسلها لـ «عقلة»!

ونظر «فريد» إلى «عقلة» قائلًا: إنني لن أنسى فضلك وشجاعتك.

قال «تختخ»: هل كانت البضاعة التي في سيارة النقل محظورًا تداولها؟

فريد: فعلًا.

تختخ: لقد استنتجت ذلك، وأبلغت المفتش «سامي» الذي اتَّصل بشرطة «المنصورة»، وتمَّ القبض على عصابة «طباظة»!

ليلى: إنني لا أعرف كيف أشكركم على ما فعلتم من أجلنا!

فريد: وأعلن أنني كنتُ مُخطئًا تمامًا فيما فعلت ... لقد علمتني هذه التجربة أن الشجاعة وحدها ومواجهة الموقف هي الحل الصحيح لما يحدث لأي شخص.

ونظر الجميع إلى «تختخ» ليقول شيئًا، ولكنه كان مُنهمكًا تمامًا في الأكل، فنظر المغامرون بعضهم إلى بعض، ثم إلى «فريد» و«عقلة» وانفجر الجميع ضاحكين.


هنداوي